مطاعن المستشرقين الجدد في القرآن الكريم والرد عليها

د. حنان بنت منير المطيري
أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح، جامعة المجمعة

ملخص

يأتي البحث الموسوم بـ: "مطاعن المستشرقين الجدد في القرآن الكريم والرد عليها"؛ للتصدي للسهام المصوبة ضد الإسلام، ومصدره الأساسي: القرآن الكريم، فعندما أيقن المستشرقون أهمية القرآن الكريم ومكانته عند المسلمين بأنه المصدر الأول للتشريع الإسلامي، قاموا برميه بالمطاعن والشبهات؛ حتى يفتن أذنابهم في بلاد المسلمين، فيرددون تلك المطاعن دون تفهم أو تدبر، وحتى يصدوا الغربيين عن معرفة الإسلام معرفة صحيحة، ومن ثم استحدث المستشرقون طرقا جديدة للطعن في القرآن الكريم، منها: ما يتعلق بتاريخ القرآن الكريم، وتدوينه، وعلاقته بالكتب السابقة، ومنها: ما هو معني بالقراءات الحداثية: كالتناص، والهرمنيوطيقا، ومنها: ما يتعلق بالاتجاه التزامني؛ وهو ما يستهدف العلاقات النصية، وبنية الكتاب، ونظمه، إلى غير ذلك من اتجاهات ودراسات مستحدثة.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، شبهات حول القرآن الكريم، الاتجاه التزامني، الاتجاه التاريخي النقدي، مصادر القرآن الكريم، الهرمنيوطيقا.

The Slander of the New Orientalists in the Holy Qur'an and the Response to Them

Dr. Hanan Muneer Ghbiesh Almutairi
Associate Professor, Department of Islamic studies, Majmaah University

Abstract:
The research tagged: " The Slander of the New Orientalists in the Holy Qur'an and the Response to Them" comes to counter the allegations pointed against Islam, and its sources: (the Qur'an and the Sunnah). When orientalists realized the importance of the Qur'an and its place among Muslims as the primary source of Islamic legislation, they slander and suspicion it; so that their lackeys in Muslim countries are mesmerized and repeat such slanders without understanding or contemplation, and to repel Westerners from knowing Islam correctly, and then orientalists have developed new ways to challenge the Holy Qur'an, such as: what is related to the history of the Qur'an, its codification, and its relationship to previous books, What is concerned with modernist readings: such as intertextuality, hermeneutics, what is related to the synchronous trend, which targets textual relations, the structure of the book, its laws, and other trends and new studies.

Keywords: Orientalism, Doubts about the Qur'an, Synchronous Trend, Critical Historical Trend, Sources of the Qur'an, Hermeneutics.

مقـدمـة

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدى للمتقين، ورحمة للمحسنين، وجعله شفاء للمؤمنين، ونفى عنه الريب، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نزل على قلبه الكتاب ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين. وبعد

فإنَّ أعين الكثير من المستشرقين لم تغمض عن التربص بالإسلام وتراثه، ولا يزالون يؤسسون المدارس، ويؤهلون الدارسين والباحثين لهذه المهمات، والتي يعدونها بابا مهما من أبواب النضال للطعن في دين الإسلام الحنيف، ويأتي القرآن الكريم على رأس قائمة اهتمامات المستشرقين، فلا زالوا يسهرون ويكدون دون كلل للنيل منه، ورميه بالمطاعن والشبهات؛ حتى يفتن أذنابهم في بلاد المسلمين، فيرددون تلك المطاعن دون تفهم أو تدبر، فاستحدث المستشرقون: طرقا جديدة للطعن في القرآن الكريم، منها: ما يتعلق بتاريخ القرآن الكريم وتدوينه، وعلاقته بالكتب السابقة، ومنها: ما هو معني بالقراءات الحداثية: كالتناص، والهرمونطيقا، ومنها: ما يتعلق بالاتجاه التزامني، وهو ما يستهدف العلاقات النصية، وبنية الكتاب ونظمه، إلى غير ذلك من اتجاهات ودراسات استحدثها المستشرقون الجدد؛ ليكونوا امتدادا لأسلافهم السابقين؛ ممن أفنوا أعمارهم وأوقاتهم في التربص بكتاب الله تعالى، ولكن هيهات، وأنى لهم النيل من كتاب الله، وقد تعهد الله بحفظ كتابه الحكيم، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1]، ومن هذا الحفظ أن الله قيض من يتصدى لحملات المستشرقين ومطاعنهم؛ حتى يردوا كيدهم في نحورهم، والله أسأل أن يجعلني من أولئك الذين اصطفاهم لخدمة كتابه المجيد.

مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة الدراسة في: بيان الدراسات الاستشراقية الحديثة، وأهم المؤلفات في هذا الباب، وأبرز الشبهات والمطاعن التي يثيرها المستشرقون الجدد حول القرآن الكريم، وأهم الكتابات والشبه حول هذا الموضوع؟

تساؤلات الدراسة:

١. ما الاستشراق، وما دوافعه؟
٢. ما أهم الاتجاهات الاستشراقية في دراسات المستشرقين الجدد للقرآن الكريم؟
٣. ما أهم شبهات المستشرقين الجدد حول تأثر القرآن الكريم بالكتاب المقدس؟

(١) سورة الحجر: الآية (٩).

أهمية الدراسة: يتمركز محور الدراسة على عدة أمور، أهمها:

١. أنها ستحاول الكشف عن أهداف المستشرقين الجدد، وغايتهم.
٢. أنها ستبين أهم مصادر التشريع الإسلامي التي يسعى المستشرقون الجدد إلى الطعن فيها.
٣. أنها تلقي الضوء على أهم الشبهات والمطاعن التي يثيرها المستشرقون الجدد.
٤. أنها تبين مناهج المستشرقين الجدد في دراسة القرآن الكريم.
٥. أنها تكشف اللثام عن أهم كتابات المستشرقين الجدد حول القرآن الكريم.

وتهدف الدراسة إلى:

١. التعريف بالاستشراق، وبيان أهم المستشرقين المعنيين بالدراسات القرآنية في العصر الحديث.
٢. إلقاء الضوء على أهم القضايا التي يثيرها المستشرقون الجدد، ويكررونها.
٣. بيان شبهات المستشرقين الجدد حول تأثر القرآن الكريم بالكتاب المقدس.
٤. التعرف على أهم الاتجاهات الاستشراقية في دراسات المستشرقين الجدد للقرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

تعددت الكتابات حول الاستشراق والمستشرقين، ومن أهم الأدبيات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة ما يأتي:

١. الاستشراق دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، للدكتور محمد خليفة حسن، وتحدث مؤلفه عن موضوع من أهم الموضوعات التي تهتم بمجال الاستشراق، وتأثر المستشرقين بتاريخ العهدَين القديم والجديد، أو ما يسمى: تاريخ الكتاب المقدس، وقام بنقد نموذج من مدارس الاستشراق في ضوء علم نقد الكتاب المقدس. يلاحظ أن الدراسة السابقة تحدثت عن المستشرقين بوجه عام، فيما الدراسة الحالية تتناول المستشرقين الجدد فقط، وتطرقت إلى بعض شبهات المستشرقين الجدد حول أخذ القرآن الكريم من كتب اليهود والنصارى.
٢. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره(دراسة ونقد)، للدكتور عمر إبراهيم رضوان؛ وقد تناولت هذه الدراسة: الاستشراق ونشأته، ودوافع المستشرقين وأهدافهم، وكتاباتهم وآراءهم حول القرآن وناقشتها، كما تناولت قضايا تتعلق بتفسير القرآن الكريم، وكانت أهم النتائج التي خرج بها: ضخامة الانتاج الاستشراقي والدعم المادي الهائل من قبل الحكومات الغربية، ممثلة بالمؤسسات التبشيرية، والمراكز التعليمية، وعلى رأسها الجامعات الغربية، وفي المقابل عدم التفات المسلمين لهذا النتاج الاستشراقي وخاصة مؤسساتهم التعلمية والمراكز الإسلامية؛ ولهذا لم تترجم من لغاتهم إلى العربية؛ الأمر الذي يعتبر أكبر عائق أمام علماء المسلمين للرد على تلك الشبهات والتصدي لها، يلاحظ أن الدراسة السابقة تحدثت عن المستشرقين بوجه عام، فيما الدراسة الحالية تتناول المستشرقين الجدد، وبعض شبهاتهم حول أخذ القرآن الكريم من كتب اليهود والنصارى.

٣. الاستشراق والدراسات القرآنية بين الأمس واليوم، للدكتورة رغداء محمد أديب زيدان، بحث منشور على موقع تفسير للدراسات القرآنية، وقَدّم هذا البحث قراءة وصفية لتاريخ الاستشراق، ونشأته، وأهدافه، والمناهج التي يستخدمها في تناول القرآن الكريم، ويستشكل مقولةَ مَوْتِ الاستشراق، ويبين من خلال بعض النماذج: استمرارية كبيرة للاستشراق في المناهج والأدوات، وكذلك يثير تساؤلات عن مدى كفاءة مناهج الاستشراق في دراسة القرآن الكريم. فيما الدراسة الحالية تتحدث عن المستشرقين الجدد، ودوافعهم، وتذكر أهم المستشرقين المعنيين بالدراسات القرآنية في العصر الحديث.

٤. المستشرقون والقرآن الكريم، محمد أمين حسن بني عامر، طبعة دار الأمل، ٢٠٠٤م. وتحدث مؤلفه عن الاستشراق بشكل عام، وتاريخه ودوافعه، وصلته بـ: التنصير، واليهود، والاستعمار، وأهدافه: الدينية، والعلمية، والسياسية، وموقف المستشرقين من القضايا العقدية، وموقفهم من مصدر القرآن الكريم، وموقفهم من تاريخ القرآن الكريم، وموقفهم من آيات الجهاد، ثم تحدث عن موقفهم من آية الجزية، وآيات الحدود، وذكر موقف المستشرقين من آيات المواريث، والشبه حول تلك الآيات وبطلان تلك الشبه، والرد عليها. فيما أتحدث في دراستي عن المستشرقين الجدد، وأتناول أهم الشبهات، وأهم المقولات الاستشراقية حول تطبيق الاتجاه الهرمنيوطيقي في تفسير القرآن الكريم.

٥. الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، للدكتور محمد عبد المتعال الجابري، طبعة مكتبة وهبة القاهرة، ١٩٩٥م، وفي هذا الكتاب يكشف الدكتور الجابري عن: الاستشراق، وأهدافه العامة، فيبين: طريقة دراسة المستشرقين الإسلامَ وعلومَه وطبيعتها، من: تاريخ، وسنة، وسيرة، مع استعراضه المراحل التي مروا بها، والمزاعم التي روجوا لها حول علوم الإسلام، ويثبت زيفها وبطلانها بأسلوب علمي موضوعي، وقد استعرض في دراسته: أهداف الاستشراق من جميع الجوانب التي يعتمد عليها أكثرهم، وكيف تطورت هذه الأساليب، وموقف المفكرين منهم، كما يوضح أساليب الحرب الفكرية الخفية، ودور الاستشراق فيها، وغير ذلك من الأفكار المهمة. فيما دراستي الحالية تركز على أبرز المستشرقين الجدد الذين يتربصون بالدين الإسلامي الدوائر، وأهم ما ينطلقون منه في دراسة المصدر الأول للتشريع وهو القرآن الكريم، ومميزاته.

٦. نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، للدكتور ساسي سالم الحاج، طبعة دار المدار الإسلامي، بني غازي، ٢٠٠٢م، وقد سعى هذا الكتاب إلى تقديم محاولة قوية لفهم ظاهرة الاستشراق بشكل علمي وموضوعي بعيدًا عن الآراء وتقويمها، كما يجيب المؤلف فيه عن عدة أسئلة، منها: لماذا هذا الجدل حول ظاهرة الاستشراق؟ ولماذا اختلف الباحثون بين مؤيد، ومعارض؟ وما وجهة النظر العلمية حول هذا الموضوع؟ ولماذا الاهتمام بدراسة الاستشراق، وفهم أهدافه، ونشأته، ومراحله، ومناهجه؟ فالمؤلف تعرض لهذه الظاهرة العلمية، ووضح لنا الأصل الذي خرجت منه، وسبب ظهورها، والسياق التاريخي الذي اكتنفها منذ زمن بعيد مع بداية

الاحتكاك بين الشرق والغرب، مروراً بالعلاقة بين الإسلام والمسيحية في القرون الوسطى، حتى بيان آثار هذه العلاقة في العصر الحديث، مع مناقشة المراحل التي مرت بها هذه الظاهرة العلمية، محللًا خصائص كل مرحلة، وما تميزت به عن غيرها من المراحل، ومبيناً مدى تأثيرها على الدراسات الشرقية بصورة عامة، وكيفية معالجتها بعضَ القضايا الإسلامية بصورة خاصة، وغير ذلك من المحاور العلمية التي يتناولها هذا الكتاب بشكل موضوعي ثري. بينما الدراسة الحالية تركز على المستشرقين الجدد فقط، وأحاول التعرف على أبرز شبهاتهم حول القرآن الكريم واتجاهاتهم في دراسة القرآن الكريم.

منهج الدراسة:

أستخدم في هذا البحث المنهج التاريخي، والمنهج المقارن.

خطة الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فأذكر فيها مشكلة الدراسة، وتساؤلاتها، وأهميتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وخطة الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بالاستشراق ودوافع الاستشراق، وتاريخ الدراسات الاستشراقية.

المبحث الثاني: مطاعن المستشرقين الجدد في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دعوى تأثر القرآن الكريم بالكتب المقدسة عند اليهود والنصارى.

المطلب الثاني: تطبيق الاتجاه الهرمنيوطيقي في تفسير القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الاتجاه التزامني في دراسات المستشرقين الجدد للقرآن الكريم، وفيه تمهيد، ومطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاتجاه التزامني ومميزاته.

المطلب الثاني: مؤلفات المستشرقين في النص القرآني وأبرز المهتمين بالدراسات المعنية بهذا الجانب.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج الدراسة. وأخيرا: مراجع الدراسة.

المبحث الأول

التعريف بالمستشرقين الجدد ودوافع الاستشراق، وتاريخ الدراسات الاستشراقية

قبل التعريف بالمستشرقين الجدد لا بد أولا من التعريج على معنى مصطلح الاستشراق، وبشكل موجز، وذلك فيما يلي:

أولاً: تعريف الاستشراق لغة واصطلاحا:

أ- تعريفه لغة:

كلمة (استشراق) على وزن: استفعال؛ وهي مشتقة من مادة: شرق، ثم أضيف إليها، ومعنى الاستشراق: طلب الشرق، ويسمَّى العالِم بها: مستشرقا، ويُقصَدُ به: طلب علوم الشرق، وآدابه، ولغاته، وأديانه، يقال: شرقت الشمس شرقاً وشروقاً: إذا طلعت، وأنارت، قال تعالى: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[(١)]، وشرقت الشمس شرقا: إذا ضعف ضوؤها، اسم الموضع: المشرق، والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرّق ومغرّب، وشرّقوا: ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق[(٢)].

ب- الاستشراق orientalism اصطلاحا:

عرف الاستشراق اصطلاحا بأنه:" علم الشرق، أو علم العالم الشرقي"[(٣)].

كما أطلق أيضا على: التيار الفكري الذي يستهدف دراسة الشرق الإسلامي من جوانبه كافة: الحضارية، والدينية، والأدبية، والثقافية، واللغات[(٤)].

والاستشراق بحسب الدكتور إدوارد سعيد يطلق على:" الحقل الذي يتحدث عن الشرق، ويؤلف عنه، ويدرسه"، وبعبارة أخرى: "الاستشراق هو: اختصاص من ينشط في دراسة ما يتعلق بالشرق، ويجعل منجزاته والنتائج التي يتوصل إليها في متناول الآخرين"[(٥)].

ويراد به أيضا: "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب"[(٦)].

---

(١) سورة الزمر: الآية (٦٩).

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ (١٠/١٧٤، ١٧٩)، إبراهيم مصطفى، وآخرون: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١/٤٨٠)، عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م (٢/١١٩٢).

(٣) زقزوق، محمود حمدي: الاسْتِشْرَاق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٦٠.

(٤) انظر: الأمين، عبدالله محمد: الاسْتِشْرَاق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص١١٥.

(٥) سعيد، إدوارد: الاسْتِشْرَاق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: د. محمد عناني، رؤية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٤٠.

(٦) ساسي، سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، (١/٢٠).

ثانيا– تعريف المستشرقين الجدد:

المستشرقون الجدد هم: أولئك الذين يمثلون التيار المحافظ بتشدد أكثر من أسلافهم السابقين، باستخدام أساليب العصر الحديثة والجديدة، ويقصد بهم: الفلاسفة الذين لجأوا إلى الإسلام؛ لتوظيفه في مشروعهم النقدي للغرب والمسيحية في مرحلة ما بعد الحداثة(١).

فبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عام ١٩٤٥م اهتم المستشرقون الجدد ودوائرهم الاستشراقية بمراجعة "الاستشراق"، والعمل على إصلاح مؤسساته، ويعد تقرير سكاربورو عام ١٩٤٧م، واضع شرعة الاستشراق الحديث في بريطانيا؛ حيث أكد على ضرورة معرفة وفهم البلدان البعيدة بشكل صحيح، حتى لا تبقى العلاقات معها خاضعة للخرافات والجهل(٢).

لقد دعا معظم المستشرقين الجدد إلى تحرير الاستشراق من الأهداف التنصيرية، والاتجاه به نحو بحث علمي مستقلّ يستهدف المعرفة وحدَها، فافتُتحت في أكثر من بلد غربي أقسامٌ للدراسات الشرقية، أو العربية أو الإسلامية في الجامعات(٣)

وقد لعبت المراكز البحثية الغربية دورًا كبيرا إبّان صعود المستشرقين الجدد والذين باتوا يسمونهم الخبراء، ومن أبرز هؤلاء الخبراء الخطرين في المراكز البحثية في أمريكا: برنارد لِويس (١٩١٦ – ٢٠١٨) هو مؤرخ أمريكي بريطاني متخصص في الدراسات وهو ينتمي إلى نخبة من المفكرين والباحثين التاريخيين وقادة الفكر الإستراتيجي في الولايات المتحدة، أمثال: صامويل هنتنجتون (١٩٢٧ – ٢٠٠٨)، صاحب نظرية "صراع الحضارات" التي استقاها من مقالة للويس بعنوان "عودة الإسلام"، وفرانسيس فوكوياما (من مواليد ١٩٥٢)، من مجموعة المحافظين الجدد، وروّجت لها مؤسسات الأبحاث السياسية والإستراتيجية، وصارت كتبهم على قائمة المبيعات الأكثر رواجاً، وتغطية على الصعيد الإعلامي(٤)؛ وهم يقومون بدورهم الاستشراقي في تلك المراكز منذ تسعينات القرن الماضي حتى الآن(٥).

---

(١) انظر: سعد، جهاد، المستشرقون الجدد: كتاب إيان الموند، مجلة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، عدد: (٢٤)، سنة:٢٠٢١م، ص٢١٥، ٢١٦.

(٢) انظر: الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، عرض كتاب المدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، منشور على الموقع التالي:
http://alraweme.blogspot.com/p/blog-page_٢٠.html\
تم استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م.

(٣) انظر: للمستشار محمد عزت الطهطاوي، التبشير والاستشراق، أحقاد وحملات على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبلاد الإسلام، د.ط.، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ص٤٠.

(٤) انظر: الموقع الالكتروني:
https://www.marefa.org
تم استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م.

(٥) انظر: إبراهيم عوض، المستشرقون الجُدُد"دانيال بايِبْس وبقية أفراد العصابة منشور على الموقع التالي:
https://mtafsir.net/forum%/
تم استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م.

وأخطر هذه المؤسسات هي مؤسسة راند في العالم، وهي منظمة بحثية يقع مقرها الرئيسي في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، تعود نشأتها إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ويعمل في المؤسسة ما يقارب ١٨٠٠ باحث وموظف يحمل غالبيتهم شهادات أكاديمية عالية، وتكمن خطورتها في شدة تأثيرها، وقربها من مراكز اتخاذ القرار، كما أن تقاريرها تمتاز بالعمق السياسي والاستراتيجي(١).

ثالثاً: دوافع المستشرقين:

إن للاستشراق دوافع منها: تبشيرية، واستعمارية، وعلمية، ويظل الإسلام في الغالب هو الهدف الرئيس لكثير من المستشرقين؛ حيث دأبوا على دراسة اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وتبحروا في الدراسات الأدبية؛ لينالوا من الإسلام كتابا وسنة، بدافع: التقليل من أهميتهما، وحشد المرضى لينفخوا في تلك الأبواق بما يوافق هواهم، وكذلك الطعن في التاريخ الإسلامي، والنيل من صحابة رسول الله ﷺ.

ويمكن القول: إن الاستشراق جاء كبديل عن الحروب الصليبية، بعد أن تيقن الغرب الصليبي أن لا سبيل إلى النصر والغلبة على عقيدة المسلمين وفكرهم، عن طريق القوة الحربية؛ لأن تدين المسلمين بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفوس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام؛ ومن هنا قام نفر من الغربيين يدفعهم التعصب إلى الكتابة عن الإسلام؛ فافقدهم التعصب أمانة العلم، وعمدوا إلى تشويه الإسلام(٢).

كما أن من دوافعه: أنهم يشعرون بالخوف من انتشار الإسلام؛ ونجد التعبير عن هذا الشعور في ثنايا كتابات بعض المستشرقين(٣).

رابعاً: تاريخ الدراسات الاستشراقية في القرآن الكريم:

نظرا لمنزلة القرآن الكريم عند المسلمين، وأنه المصدر الأول للتشريع؛ نجد أن كثيرا من المستشرقين صوبوا سهام الطعن نحوه للنيل منه، والتشكيك فيه، وهذا ما أكده جولد، في مقدمة كتابه: (مذاهب التفسير الإسلامي)؛ حيث ذكر أنه لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل، أو موحى به يقدِّم نصُّهُ في أقدم عصور تداوُلِهِ مثلَ هذه الصورةِ من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن الكريم(٤).

---

(١) انظر: أحمد سمير، المستشرقون الجدد، منشور على الموقع التالي:
https://tipyan.com/dangerous-western-reports-about-islam
تم استرجاعه في ١٤٤٤/١١/١٠هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/٩م.

(٢) محمد أمين حسن بني عامر: المسْتَشْرِقُون والقرآن الكريم، طبعة دار الأمل، ٢٠٠٤م، ص٢٢-٢٣.
تم استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م.

(٣) انظر: الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، عرض كتاب المدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، منشور على الموقع التالي:
http://alraweme.blogspot.com/p/blog-page_٢٠.html\
تم استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م.

(٤) جولد تسيهر، أجيناس: مذاهب التفسير الإسلامي، دار اقرأ، بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ص٢٠.

إبراهام جيجر، (١٨١٠- ١٨٧٤)، وهو مستشرق ألماني وحبر يهودي، وله مكانة عظيمة في تاريخ الإصلاح اليهودي؛ حيث يعدّ رائد الإصلاحية اليهودية في العصر الحديث، وتمحورت دراساته حول: فقه اللغات الكلاسيكية العبرية، والسيريانية، وحول العهد القديم، وكان يؤمن بالمركزية اليهودية في الأديان الكتابية، وبتأثير الكتاب المقدس على المسيحية والإسلام، ومن أشهر كتبه في هذا السياق: (ماذا أخذ محمد من اليهودية؟)[١].

كذلك من المستشرقين الألمان الذين ترجمت أعمالهم: المستشرق **تيودور نولدكه** (١٨٣٦- ١٩٣٠)، والذي يعد شيخ المستشرقين الألمان، وهو من أبرز المستشرقين عداوة للإسلام، وهذا بشهادة أحد المستشرقين، وهو المستشرق السويسري ستيفان فيلد (Stefan Vild) حيث وصف نولدكه بأنه: أجهل علماء عصره، وأشدهم عداوة للإسلام[٢].

وقد درس نولدكه عددا من اللغات السامية: العربية، والعبرية، والسيريانية، وآرامية الكتاب المقدس، ثم درس – وهو طالب في الجامعة – الفارسية، والتركية، وفي العشرين من عمره حصل على الدكتوراه عن دراسته حول: (تاريخ القرآن)، وهي الدراسة التي قضى عمره في تطويرها، ومنهم: أيضا فلهاوزن، (١٨٤٤- ١٩١٨)، وهو مستشرق ألماني مسيحي، من أبرز الباحثين في تاريخ الكتاب المقدس، وله نظريات خاصة في تشكل العهد القديم – خصوصا أسفار موسى–، وكذا في النقد الشكلي للأناجيل، والتي لا تزال ذات أهمية كبيرة في دراسات العهدين القديم والجديد إلى الآن، وقد حدث تقدم ملحوظ في العقود الأخيرة في ترجمة الدراسات القرآنية المكتوبة بالألمانية إلى الإنجليزية؛ مما وفر على المستشرقين من غير الألمان جهد البدء من نقطة الصفر[٣]، وهو ما كان يحدث وما يزال في كثير من الدوائر الاستشراقية الغربية؛ نظرا لتفسخها، وجهل كثير من المستشرقين بلغات نظرائهم.

وقد حلت الترجمة إلى الإنجليزية كثيرا من أشكال القطيعة بين الدراسات الاستشراقية الغربية؛ فقد ترجمت إلى الإنجليزية كتابات جولد تسيهر (١٨٥٠- ١٩٢١)، وهو مستشرق مجري يهودي، تلقى تعليمه في جامعة بودابست ثم برلين ثم ليبستك، وفي عام ١٨٧٠م، حصل جولد تسيهر على الدكتوراه الأولى، وكانت عن (تنخوم أورشلي) أحد شراح التوراة في العصور الوسطى، وعين أستاذا مساعدا في عام ١٨٧٢، ارتحل إلى كثير من البلدان محاضرا، منها: القاهرة، وسوريا، وفلسطين، وفي عام ١٨٩٤ عين أستاذا للغات السامية بجامعة بودابست، وله عدد كبير من المؤلفات، أشهرها: (العقيدة والشريعة في الإسلام، تاريخ

---

(١) بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستَشْرِقين، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٩٣، ص ١٥٦.

(٢) عيد، ثابت: الإسلام في عيون السويسريين، بافاريا، ألمانيا، ط١، ١٩٩٩م، ص٢٤٠.

(٣) ديفين ج. ستيوارت – DEVIN J. STEWART: قراءة القرآن كنصٍّ أدبي. لأنجيليكا نويفرت، منشور على الموقع الالكتروني: https://tafsir.net/translation/٣٥/an-ns-s-al-mqd-ds-ash-sh-r-wsna-t-al-mjtm-qra-at-al-qr-aan-kns-sin-adby-l-anjylyka-nwyfrit. تم استرجاعه في ١٥/ ٣/ ٢٠٢١م.

التطور العقدي والتشريع في الدين الإسلامي) و(مذاهب التفسير الإسلامي)، والذي صدر سنة ١٩٢٠م، وتُرجِمَ إلى لغات عديدة، كما تُرجِمَ كتاب نولدكه الموسوم بـ: (تاريخ القرآن) إلى الإنجليزية سنة ٢٠١٣م، وهو من أهم أعمال الدراسات الاستشراقية القرآنية، كما أسهمت الموسوعة القرآنية بصورة جزئية في إتاحة وصول الدراسات القرآنية الألمانية على مدى قرن ونصف من الزمان إلى قاعدة جمهور أوسع على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وبعض الدراسات الاستشراقية المهمة لا تزال بلغتها الألمانية دون ترجمة إلى الإنجليزية، مثل: الدراسات القرآنية لإبراهام هوروفيتز (١٩٢٦)، والقصص التوراتية في القرآن لهاينريش شباير (١٩٣١).

وتذكر المستشرقة الألمانية: " إنجيليكا نويفرت": أن من أسباب إخفاق المستشرقين الغربيين خصوصا في ألمانيا: تعرضهم للتشتت الذي تسبب به تهجير العلماء اليهود من ألمانيا النازية في ثلاثينيات القرن العشرين، وأن أغلب الباحثين في علوم القرآن الكريم من الأوروبيين والأمريكيين الشماليين في ثلاثينيات القرن الماضي، فضلا عن مترجمي النص المقدس: قد تخصصوا في مجالات فرعية أخرى من الدراسات الإسلامية والعربية؛ لكنهم عملوا في الدراسات القرآنية كمشروع فرعي، وفي عزلة نسبية، وبشكل أقرب إلى صنعة بدائية تفتقر إلى المعيارية، وتمركزت معظم الدراسات القرآنية للبحث في نفسية النبي، أو التفاسير القرآنية، على يد عدد من صغار الباحثين، فافتقدت الدراسات الغربية أي برنامج دراسي محدد، أو منهج علمي معتبر للدراسات القرآنية[(١)].

ولم يكن للباحثين في مجال الدراسات القرآنية أية قاعدة معتمدة للكتابات العلمية، أو لمجموعة مهارات محددة مطلوبة منهم لولوج هذا الحقل المعرفي المهم؛ فتسبب ذلك في: انقطاع تسلسل الدراسات القرآنية، وظهورها في صورة متشرذمة، وخروج أجيال من المستشرقين لا يمتلكون المنهجية التي بنيت عليها أعمال أسلافهم، ولهذا يقول أركون (١٩٢٨ – ١٤ سبتمبر ٢٠١٠ م) [(٢)]:

(١) ديفين ج. ستيوارت – DEVIN J. STEWART: قراءة القرآن كنصٍّ أدبي. لأنجيليكا نويفرت، منشور على الموقع الالكتروني:
https://tafsir.net/translation/٣٥/an-ns-s-al-mqd-ds-ash-sh-r-wsna-t-al-mjtm-qra-at-al-qr-aan-kns-sin-adby-l-anjylyka-nwyfrt تم استرجاعه في ١٥/ ٣/ ٢٠٢١م.

(٢) انظر: الموقع الالكتروني:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D
تم استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م.

"إن أعمال هنري لاوست وهنري كوربان؛ تكفي للإقناع بالحاجة الملحة إلى افتتاح تفكير تيولوجي آخر ومختلف قائم على أسس جديدة كلياً"(١).

وترى نويفرت: أن الوضع قد تغير في العقدين الأخيرين، خصوصا بعد إنشاء كراسي للدراسات الإسلامية والقرآنية في الجامعات الأوروبية، وتأسيس مجلة الدراسات القرآنية في لندن، وجمعية الدراسات القرآنية في الولايات المتحدة، ومع نشر موسوعة القرآن الكريم؛ ومن ثم تشكلت دوائر للدراسات القرآنية، وحدث نوع من التواصل بين الدوائر البحثية، والمؤسسات، نتج عنه: تيسير مهمة البحث الاستشراقي في مجال الدراسات الإسلامية عامة، والقرآنية خاصة(٢).

كما يلاحظ أن كثيرا من المستشرقين عندما تعاملوا مع القرآن الكريم: انطلقوا من أضيق أبواب البحث، فلم يدرسوه بغرض الهداية؛ بل لعدة أغراض أكثرها عدائية؛ لأن القرآن الكريم هو المصدر الرئيس للإسلام، ومن ثم خرجت مطاعنهم للتشكيك في الوحي الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والطعن في المصدر الإلهي للقرآن الكريم، والادعاء بأن رسول الله تلقاه عن اليهود تارة، وعن رهبان النصارى تارة أخرى، تحت مزاعم التأثير والتأثر.

أما عن تاريخ ترجمات المستشرقين للقرآن الكريم: فإن ترجمة "روبرت" تعد أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية؛ فقد ظهرت سنة ١١٤٣م، بدافع من الكنيسة، ولا ترقى أن يطلق عليها: اسم ترجمة؛ لما فيها من أخطاء، وتصرف في النص القرآني، ثم تتابعت الترجمات التي اعتمدت على تلك الترجمة كأصل للنص، ومن ثم جاء البناء على شفا جرف هار، وظلت بحوث المستشرقين تدرس في أوروبا معتمدة على ما في هذه الترجمات من ضلالات؛ بهدف: بث روح البغض والعداوة لكل من أراد أن يبحث عن القرآن الكريم؛ فتراكم إرث عظيم من المؤلفات التي تعج بالجهل المدقع بالإسلام، وكلما جاء جيل وأراد أن يميز خبث ما ادعاه أسلافه: وجد المهمة صعبة، ووقع في حيرة من أمره؛ فإما: أن يجاري من سبقوه، ويكيل الاتهامات والافتراءات التي يعلم يقينا أنها مكذوبة، وإما: أن يلتزم الأمانة؛ فيكشف ظلمة الجهل الذي بناه أسلافه، وهذا للأسف نادر يسير، ومنهم: من انتهج منهجا جديدا؛ وهو التعامل من باب المواربة بأن يأتي

---

(١) انظر: أرشيف منتدى الألوكة:
http://majles.alukah.net
تم استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م.

(٢) ديفين ج. ستيوارت – DEVIN J. STEWART: قراءة القرآن كنصٍّ أدبي. لأنجيليكا نويفرت، منشور على الموقع الالكتروني:
https://tafsir.net/translation/٣٥/an-ns-s-al-mqd-ds-ash-sh-r-wsna-t-al-mjtm-qra-at-al-qr-aan-kns-sin-adby-l-anjylyka-nwyfrt تم استرجاعه في ١٥/ ٣/ ٢٠٢١م.

بشبهات يغلب عليها طابع العصبية المقيتة، فيروج لشبهات ينال بها سمعة وصيتا بين جماهير المستشرقين، ويضمن بها مكانا في درك أسلافه؛ فظهرت الدراسات الاستشراقية الحديثة التي استهدفت: اللغة العربية؛ فدرسوا القرآن الكريم بوصفه كتابا لغويا نصيا، واستخدموا فقه اللغات philology لدراسة القرآن الكريم، فعكفوا على البحث في أدق التفاصيل اللغوية؛ محاولين إرجاعها إلى ما يتصورون أنه أصلها في اللغات الشرقية الأخرى، وأطلقوا عليها: النظريات الحداثية؛ كالتناص، والهرمنيوطيقا، ثم اتجهوا إلى البحث في تاريخ القرآن الكريم(١).

ومن أهم المستشرقين المهتمين بالدراسات القرآنية: "العالم الفرنسي غوستاف لوبون، والذي أخرج كتاب: (حضارة العرب) في عام ١٨٨٤م، فخصص الفصل الثاني من الباب الثاني منه لدراسة القرآن الكريم، وقد أعطى خلاصة مركزة عن: جمع القرآن، وقُربه من التوراة والإنجيل، وقياسه بكتب الهند الدينية، وتعرضه لخلق الدنيا، وصفة الجنة والنار، ومسامحة اليهود والنصارى، وفلسفة القرآن وأثرها في انتشاره في العالم، والتوحيد المطلق في القرآن، ووضوح مذاهب القرآن، وروح العدل والإحسان في القرآن، وسبب انتشاره السريع، وتضامن الأمم الإسلامية بفضل القرآن، وخطأ المؤرخين في بيان أسباب انتشار القرآن عن طريق القوة"(٢).

المبحث الثاني

مطاعن المستشرقين الجدد في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دعوى تأثر القرآن الكريم بالكتب المقدسة عند اليهود والنصارى.

المطلب الثاني: تطبيق الاتجاه الهرمنيوطيقي في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الأول

دعوى تأثر القرآن الكريم بالكتب المقدسة عند اليهود والنصارى

أولا– تركيز المستشرقين على المصدر الأول للتشريع:

لقد حظي القرآن الكريم بالنصيب الأوفى من دراسات المستشرقين؛ فقد أثاروا حوله شبهات كثيرة؛ بعضها يتعلق: بتاريخه، ومصدره، وما تفرع منه من علوم؛ لأنه هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وقد غلب على المستشرقين: طابع العداء الدفين، وكان موضوع مصدر القرآن الكريم من أهم الموضوعات التي

(١) انظر: يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق؛ الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ص١٨.

(٢) الصّغير، محمد حسين علي، المستشرقون والدّراسات القرآنية، دار المؤرّخ العربي بيروت، لبنان ط١، ص٩٦.

لاقت اهتمامهم، فأثاروا الشبهات حول تأثر القرآن الكريم بالكتاب المقدس؛ ومن ثم أصبح البحث والكشف عن علاقة القرآن بالكتاب المقدس من أهم الموضوعات الرئيسة في الدرس الاستشراقي الكلاسيكي؛ فخرجت دراسات بعضها موافقة لأهوائهم، ووضعوا بعض النظريات الممهدة لذلك من قضية: التأثير، والتأثر؛ فاتهموا النص القرآني بأنه: منحل من الكتب السابقة، أو أنه: تطور لنظم الكتب السابقة، ومن أهم تلك الدراسات كتاب: (ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟)، للمستشرق إبراهام جايجر، وكتاب: (الشخصيات الكتابية في قصص القرآن)، للمستشرق هانريش شباير، ومن الدراسات التي بحثت علاقة القرآن بالأناجيل كتب المستشرق السويدي: تور أندريه.

وقد شهدت العقود الأخيرة من الدراسات الاستشراقية: اهتماما بهذا الموضوع؛ فظهر كتاب غونتر لولينغ الموسوم بـ: (حول القرآن الأصلي)، الذي صدر سنة ١٩٧٤م، وكتاب جون وانسبرو: (الدراسات القرآنية) الصادر سنة ١٩٧٧م، وكتاب لكسنبرج: الموسوم بـ: (قراءة آرامية – سيريانية للقرآن؛ محاولة لفك شفرة اللغة القرآنية)، ودارت هذه المؤلفات في مدار الاتجاه التنقيحي، والذي طُبِّقَ على الدراسات القرآنية بتركيز شديد، والذي انتهت نتائجه إلى: نفي ارتباط القرآن بجزيرة العرب، وتجريد المسلمين الأوائل من هويتهم العربية الخالصة، واتهامهم برجوعهم إلى هويات سابقة ترجع إلى: اليهودية، والنصرانية، وأن القرآن ظل إلى قرابة نهاية القرن الثاني الهجري كتابا مسيحيا، ويعد المستشرق: "سان كلير تيسدال" هو رائد المستشرقين الكلاسيكيين في هذا الباب؛ فقد وضع أصول تلك الفرية في كتابه: (المصادر الأصلية للإسلام)، ففتح الطريق لمن تبعه من المستشرقين لولوج هذا الباب، وقد اعتمد المستشرقون في إثبات تأثر القرآن الكريم بالتوراة والأناجيل: على أن القرآن الكريم ذكر أربع ديانات كانت موجودة في جزيرة العرب، جمعتها الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ﴾[1]، فكان لهذه الجماعات تأثير على معتقد المسلمين الأول، وشعائرهم الدينية خصوصا: اليهود، والنصارى؛ حيث كانت أعداد اليهود كبيرة في جزيرة العرب، مثل: يهود بني النضير، وبني قريظة، وبني قينقاع، ويهود خيبر، ووادي القرى، وخليج العقبة، وقد استقى منهم النبي محمد العديد من العقائد والشعائر، مثل: محاكاة قصة الحج، والبيت المقدس في مكة وفلسطين، والذبيح، والهدي، والأضاحي، والكفارات، كما أخذوا من الكتاب المقدس بعض المصطلحات العقدية، مثل: خلود الروح، والجنة، والنار، والملائكة، والشيطان، والخطيئة، والكفارة، ونزول آدم من الجنة إلى الأرض، والطوفان، وقابيل وهابيل، والقبلة الأولى إلى بيت المقدس، وصوم عاشوراء، فادعى: "تيسدال" أن: مثل تلك الأفكار كانت بمثابة

(١) سورة الحج من الآية (١٧)

الخام التي وضعت في متناول النبي محمد، ومنها انتحل القرآن، والذي كان ترددا لما ورد في أسفار التوراة، وأساطير اليهود(١).

ثانيا– أبرز شبه المستشرقين حول القرآن الكريم:

لقد تصدى الكثير من المستشرقين ومن ورائهم الكنيسة في عصرنا الحديث للقرآن الكريم؛ فأشاعوا بين الأوروبيين أن القرآن لم يأت بغير أساطير استمد أصولها من: المدراش، والتلمود، وبعض ما ذهب إليه الفكر المسيحي؛ بل إن التحريف قد أصاب القرآن في أكثر من موضع(٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كثيراً من المستشرقين الجدد لا يزيد دورهم عن اجترار تلك الشبهات، وإعادة استنساخها وصياغتها ... والمحصِّلة النهائية الناتجة واحدةٌ؛ فهم يزعمون أن القصص القرآني أساطير لا حقيقة لها(٣)، إلى غير ذلك من الشبهات التي سأتطرق لها هنا:

فمن الشبه التي أثارها المستشرقون حول تأثر القرآن الكريم بالكتب المقدسة عند اليهود والنصارى، ما يلي:

الشبهة الأولى:

زعم كثير منهم كـ: وليام تيسدال، رينيه باسيه، أندريه ميكيل، هنري لامنس، جولد تسيهر، وغيرهم: أن القرآن يتشابه مع اليهودية في القصص مثل: قصة ابني آدم، وقصة إبراهيم(٤)؛ إذ **زعموا**: أن القرآن انتحل قصة حرق إبراهيم، ونجاته من النار من المدراش اليهودي؛ لأنها متوافقة مع ما ورد في الفصل السابع عشر من المدراش؛ فزعموا أن القصة القرآنية هي استعارة مباشرة من اليهودية، وإن اتسعت قليلا عن طريق إضافة تفاصيل أرجعوا مصدرها إلى الخيال الخصب للنبي محمد وشاعريته، ويستنتج تيسدال من المقارنة بين النصين: أن محمدا لا يستنسخ رواية اطلع عليها مكتوبة في كتاب ما؛ ولكنه سمعها شفوية من اليهود، كما زعم بأن الهيمنة التي مارستها هذه القصة على عقل النبي محمد تتضح من خلال توسيعه للحكاية، ومن المرات الكثيرة التي تتكرر فيها القصة في أجزاء مختلفة من القرآن، كما زعم بأن القصة كانت معروفة جيدا في مخططها

(١) انظر: تيسدال، سان كلير: المصادر الأصلية للإسلام، ترجمة: عادل جاسم، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٩م، ص ١٧٧.

(٢) انظر: البشبيشي، أحمد، المستشرقون والإسلام على ضوء التراجم، مجلة الوعي الإسلامي، السنة الثانية عشرة، العدد (١٣٧). غرة جمادى الأولى ١٣٩٧هـ أيار ١٩٧٦م، ص٢٥. وحميدة، بشير كوكو، القرآن الكريم مَصْدَرٌ لِلتَّاريخ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية (٤٤٢/٣١).

(٣) انظر: أرشيف منتدى الألوكة منشور على الموقع الالكتروني:

http://majles.alukah.net

(٤) أ. د. مصطفى مسلم: شبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم، منشور على الموقع الإلكتروني:

https://www.alukah.net/culture/

تم استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م

الرئيسي في زمنه[١].

وهو ما ذهب إليه أيضا المستشرق نولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠)[٢] الذي يقطع بأن المصدر الأساسي للوحي القرآني هو الكتابات اليهودية، وفي هذا يقول: " المصدر الرئيس للوحي الذي نزل على النبي حرفيا بحسب إيمان المسلمين وبحسب اعتقاد القرون الوسطى وبعض المعاصرين هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية، وتعاليم محمد في جلها تنطوي في أقدم السور على ما يشير بلا لبس إلى مصدرها، لهذا لا لزوم للتحليل لنكشف إن أكثر قصص الأنبياء في القرآن، لا بل الكثير من التعاليم والفروض، هي ذات أصل يهودي"[٣].

ومثله المستشرق الإسرائيلي الجديد: (أوري روبين Uri Rubin) (١٩٤٤) أستاذ قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة تل أبيب في إسرائيل، وتتركز اهتماماته حول الإسلام (مع التركيز بشكل خاص على القرآن وتفسيره)[٤]، الذي حاول في ترجمته لمعاني القرآن الكريم: أن يرد القصص القرآني إلى مصادر يهودية، [٥]ومسيحية، ووثنية، ويصر على أن القرآن اقتبس من سفر التكوين: قصة الخلق[٦].

كما أنهم قالوا: إن مصادر بعض الأفكار والتعبيرات الخاصة بيوم الحساب والبعث الواردة في القرآن الكريم اقتبست بشكل واضح من الكتب اليهودية والمسيحية[٧].

والواقع أن وجود تشابه بين القرآن الكريم والكتب السماوية هو دليل على أن القرآن الكريم كان مكملا رسالة الشرائع السابقة، وخاتما لها.

الشبهة الثانية:

من الشبه المثارة أيضا بشأن زعم التأثير والتأثر: الادعاء بأن القرآن الكريم تأثر في قصصه بما ورد في الكتاب المقدس بعهديه: القديم، والجديد، ومن هذا المنطلق: استفرغ المستشرقون الجدد طاقتهم لإثبات العلاقة بين القرآن الكريم والكتب السابقة، واتهامه بإعادة تركيبه لهذا القَصص وفقا لبنيته الخاصة سردا

---

(١) انظر: تيسدال، سان كلير: المصادر الأصلية للإسلام، مرجع سابق، ص ١٨٧.

(٢) ولد في هامبرغ، من أسرة عريقة، تعلم العديد من اللغات، ونال الدكتوراه في باريس على رسالته (أصل وتركيب سور القرآن) ثم أعاد النظر فيها وترجمها إلى الألمانية، ونشرها بعنوان: (تاريخ النص القرآني)، انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص٧٣٨-٧٣٩.

(٣) نولدكه، تيدور: تاريخ القرن: ص٧.

(٤) انظر: رابط المصدر (ويكيبيديا):

http://en.wikipedia.org/wiki/Uri_Rubin.‹

(٥) انظر: أحمد صلاح البهنسي: قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشالوم زاوي، قراءة تحليلية نقدية لنماذج مختارة، صادر عن مركز تفسير للدراسات القرآنية، Tafsir Center for Quranic Studies، ص٥.

(٦) انظر: الاستشراق والقصص القرآني، منشور على الموقع الالكتروني:

https://islamonline.net.‹

(٧) انظر: بلر، جون سي: مصادر الإسلام، ص٦٥.

ومضمونا، ويأتي في مقدمة المستشرقين المعنيين بهذا الموضوع: "جون سي ريفز"John C. Reeves، (أستاذ الدراسات الدينية في جامعة نورث كارولينا)، ومن أهم مؤلفاته: (أخنوخ من العصور القديمة إلى العصور الوسطى، مصادر من اليهودية والمسيحية والإسلام)، الصادر سنة ٢٠١٨م، وله ورقة بحثية بعنوان: (بعض المظاهر شبه الكتابية في قصة هاروت وماروت)؛ أظهر فيها: تأثر القرآن في سرد القصة بما ورد في الكتاب المقدس، وإثبات تأثير سرد الأسفار على بناء القصة في القرآن الكريم(١).

فيما استشهد تسدال على أن النصرانية كانت أحد المصادر التي أخذ منها محمد وأدخلها في قرآنه ببعض القصص منها: قصة أصحاب الكهف، وقصة مريم عليها السلام، وقصة طفولة المسيح، مع إنكاره لكلامه عليه السلام في المهد، وصنعه من الطين طير، وقصة المائدة ونزوله في آخر الزمان (٢) .

إن ما أشار إليه كثير من المستشرقين من تأثر القرآن الكريم بكتب اليهود والنصارى المقدسة ليس إلا محض افتراء؛ خاصة وأنه أتى بتفاصيل كثيرة في أكثر من موضع لم ترد في تلك الكتب؛ فإن زعموا أنها من خياله صلى الله عليه وسلم فهل خياله استطاع أن يأتي بعلوم الغيبيات: كاليوم الآخر؛ بل أقوى من ذلك أنه استطاع أن يتحدث عن أمور غيبية مستقبلية؛ أو غيبية اكتشف العلم الحديث تطابقها مع الواقع؛ فعد ذلك إعجازا علميا للقرآن الكريم. ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠ ﴾(٣)، فمع حالة الاختلاط والاطراد هذه التي توجد في البحار؛ فإن حاجزًا يحجز بينهما، يمنع كلًّا منهما أن يطغى ويتجاوز حدَّه، وهذا ما شاهده الإنسان بعدما تقدَّم في علومه وأجهزته؛ فقد وُجد ماءٌ ثالث يختلف في خصائصه عن خصائص كلٍّ من البحرين، ويفصل كلًّا من البحرين المالحين المتمايزين في خصائصهما من حيث: الملوحةُ والحرارةُ، والكثافةُ، والأحياءُ المائية، وقابليةُ ذوبان الأكسجين، ووُجد أن هذا الحاجز المائي متحرك بين البحرين على اختلاف فصول السنة، وهذا المعنى يندرج أيضًا تحت قوله تعالى: {مَرَجَ} الذي يعني أيضًا: الذهاب، والإياب، والاختلاط، والاضطراب(٤)؛ فسبحان الله العظيم. فهل ذكر ذلك في كتبهم المقدسة كما يزعمون؟

---

(١) انظر: سعد، جهاد، المستشرقون الجدد: كتاب إيان الموند، مجلة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، عدد: (٢٤)، سنة: ٢٠٢١م، ص٢١٥، ٢١٦.

(٢) انظر: مصطفى مسلم، شبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم، موضوع منشور على الرابط:
https://www.alukah.net/culture/%/٥٣٧٠٥/٠
تم الاسترجاع في٢٧ /١١/١٤٤٤هـ الموافق ١٦/٦/٢٠٢٣م .

(٣) سورة الرحمن: الآيتين (١٩ – ٢٠).

(٤) مناهج جامعة المدينة العالمية، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المرحلة: ماجستير، الناشر: جامعة المدينة العالمية، ص٣٢٩.

ثالثا– النظريات التي حاول المستشرقون الجدد تطبيقها على القرآن الكريم، والرد عليها:

إن حقد أكثر المستشرقين على الإسلام الحنيف جعلهم يدعون ما سبق قوله بشأن تأثر القرآن الكريم بالكتاب المقدس، وفي سبيل إظهار ذلك التأثر طبّقوا عدة نظريات –نشأت عندهم لانتقاد كتبهم المقدسة كالتوراة– على القرآن الكريم؛ فقد ظهر في مجال الدراسة النقدية للنصوص الدينية ما أصبح يسمى بعلم: نقد الكتاب المقدس. "The Science of Bibilical Criticism"، وقد تفرع هذا العلم إلى علمين بحسب أقسام الكتاب المقدس، هما: القديم، والجديد، فنشأ: علم نقد العهد القديم (Old Testament Criticism)، وعلم نقد العهد الجديد: (New Testament Criticism)، واشتهر بشكل خاص داخل إطار علم نقد العهد القديم ما يسمى بعلم نقد التوراة، وعلم نقد الأسفار الخمسة، كما سمي أيضا بـ: النقد العالي[(١)].

وقد تخصصت مدرسة النقد العالي "HigherCriticism" في نقد الكتاب المقدس؛ فحاول المستشرقون تطبيق ما ورد فيها على القرآن الكريم، ومن أهم سماتها: أنها لا تعترف بالوحي الإلهي، وتضع الكتاب المقدس تحت ميكروسكوب النقد، فلا يؤمنون بتقديس النص، وتنزيهه عن التلاعب، فأطلقوا لأنفسهم العنان للتصرف فيه، وجعلوه في منزلة الكتب البشرية، ولعل هذا ما يبرر هجومهم على كتابهم بشدّة وحدّة، وتقديم العقل على النقل، ويعد أول من استخدم مصطلح النقد الأعلى: "جي جي إيخهرن" (١٧٥٢ – ١٧٨٧م)، والذي كان يعمل أستاذا للغات الألمانية، وكان والده قسا، فقصد به مراجعة وتحليل التركيب الداخلي للأسفار، والبحث عن المصادر التي استخدمها الكاتب في كتابة سفره، وكيفية استخدامه هذه المصادرَ وطريقته فيها، والتنقيب عن هوية كاتب السفر، وتاريخ الكتابة، وذلك بالاعتماد على دراسة الأحداث الواردة في السفر، ومقارنتها بما ورد في التاريخ المدني؛ ولذلك دعي إيخهورن: أبو نقد العهد القديم[(٢)].

ومن الأمثلة على محاولة المستشرقين تطبيق تلك النظريات على القرآن الكريم ما يأتي:

المثال الأول:

لقد كان المستشرق: "يوليوس فلهاوزن" (١٨٤٤– ١٩١٨) أول من قام بتطبيق النقد العالي على القرآن الكريم، وقد جمع فلهاوزن بين التخصص في نقد العهد القديم، والتخصص في الدراسات الإسلامية والقرآن الكريم؛ وهذا ما ساعده على خوض هذا المضمار. وفلهاوزن هو مؤسس نظرية: (تعدد مصادر التوراة)؛ والتي طبقت على كل أسفار العهد القديم، والعهد الجديد. وقد استنبط فلهاوزن: نظرية (تعدد

(١) أ.د. محمد خليفة حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد ((الكتاب المقدس))، منشور على الموقع: http://www.alhiwartoday.net/node/٥٦٤.

(٢) حبيب، صموئيل وآخرين: دائرة المعارف الكتابية المسيحية، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٣٤٤.

المصادر) من النقد القرآني للتوراة، ومن التراث النقدي الإسلامي المستند إلى النظريات القرآنية في نقد التوراة، وأهمها: نظريات التحريف، والتبديل، وتعدد المصادر(١).

المثال الثاني:

أعقب المستشرقَ فلهاوزن عددٌ من المستشرقين المتخصصين في القرآن الكريم، ودرسوه على أسس منهجية مرتبطة بعلم نقد العهد القديم، أو علم نقد الكتاب المقدس، منهم: المستشرق الألماني: " هـ. إيفالد"، و" تيودور نولدكه".

لقد وقع الكثير من المستشرقون في خطأ كبير وهو: خطأ التعميم؛ وذلك لاعتقادهم أن ما ينطبق على الكتاب المقدس بعهديه: القديم، والجديد ينطبق على القرآن الكريم، وما ينطبق على اليهودية والنصرانية ونصوصهما قابل للتطبيق على الإسلام وتراثه.

كما أنهم أخطأوا خطأ بيِّنًا يتمثل في التسوية بين: طبيعة الحقبة التاريخية لكتابة الكتاب المقدس بعهديه، وبين تلقي القرآن الكريم وتدوينه، أو في التسوية بين كتبة الوحي للكتاب المقدس، وكتبة القرآن الكريم؛ فشتان بين القرآن الكريم؛ الذي نزل به الروح الأمين على قلب خاتم المرسلين، والذي تعهد الله تعالى بحفظه، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ ﴾(٣)، وبين ما طرأ على كتب اليهود والنصارى من تبديل وتحريف، قال – تعالى –:﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ﴾(٤).

المثال الثالث:

عمد الكثير من المستشرقين إلى تطبيق نظرية النقدي التاريخي، وانتشرت بين المستشرقين مصطلحات مثل: ((تاريخ القرآن))، و ((تاريخ الحديث النبوي))، ((وتاريخ الفقه الإسلامي))، وأيضاً ((تاريخ الإسلام)). وكلها تشير إلى هذا الانبهار بالمنهج النقدي التاريخي. وكان هدف المستشرقين من استخدامهم لهذا المنهج إثبات عدم أصالة الإسلام كدين، وأنه دين متأثر تاريخياً بالأديان السابقة عليه وبخاصة اليهودية والنصرانية، فهو إذن دين له تاريخ. وأن الحديث النبوي له نشأة وتطور داخل التاريخ الإسلامي، وأن الشريعة الإسلامية مأخوذة عن الشرائع اليهودية والنصرانية والرومانية. وأن الحضارة الإسلامية تعود إلى أصول يونانية، وهندية، وفارسية، ويهودية، ونصرانية... إلى آخر هذه الدعاوى والافتراءات التي اعتقد جولدتسيهر والمستشرقون

---

(١) انظر: أ.د. محمد خليفة حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد ((الكتاب المقدس))، منشور على الموقع:
http://www.alhiwartoday.net/node/

تم الاسترجاع في ١٤٤٤/١١/٢٧هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م

(٢) سورة الحجر: الآية (٩).

(٣) سورة الإسراء: الآية (١٠٥).

(٤) سورة النساء: الآية (٤٦).

التابعون لمدرسته أنه من خلالها يمكن النيل من أصالة الدين الإسلامي وتشويه صورته كدين مستقل، وتشويه أصالة الحضارة الإسلامية بردها إلى مصادر أجنبية(١).

المطلب الثاني.

تطبيق الاتجاه الهرمنيوطيقي في تفسير القرآن الكريم

أولاً– تعريف الاتجاه الهرمنيوطيقي:

يوجد هناك عديد من الاتجاهات الحداثية التي سلكها المستشرقون الجدد في دراسات القرآن الكريم وساروا عليها، ويتمثل محور هذه الاتجاهات في تطبيقهم لها على القرآن الكريم؛ أسوة بتجاربهم السابقة في تطبيقها على نصوص الكتاب المقدس؛ ومن ثم أطلقوا التسوية في التطبيق على سائر النصوص الدينية، ثم نقلوها إلى الدراسات الأدبية، ومن هذه الدراسات: التفسير الهرمنيوطيقي، وتطبيقه على القرآن الكريم.

لفظة الهرمنيوطيقا: مشتقة من الفعل اليوناني (Hermeneuin) ويعني: التفسير، واسمه: (Hermeneuia)، ويرمز في اليونانية إلى: هرمس (رسول الآلهة لدى اليونان)؛ الذي وكل إليه نقل الرسائل بين الآلهة والبشر، ويعتقد اليونانيون أنه توجب على هرمس أن يكون ملما بلغة الآلهة، فضلا عن لغة البشر المرسل إليهم(٢).

يقول ديفيد جاسبر: كلمة (هرمنيوطيقا) هي: التعبير الانجليزي للكلمة اليونانية الكلاسيكية هرمس؛ التي تعني: "المفسر، أو الشارح. . . وفي الأسطورة اليونانية كان هرمس رسول الآلهة. . . قادرا بنعله ذي الأجنحة على تجسير الفجوة بين الآلهة والعالم البشري، ويصوغ بكلمات مفهومة ذلك الغموض القابع وراء القدرة البشرية على التعبير"(٣).

ويعد المنهج التاريخي النقدي: (التعاقبي/ الدياكروني)، من أهم المناهج الغربية الحديثة التي نهجها المستشرقون الجدد للبحث في القرآن الكريم؛ ويعرف بأنه: "العلم الذي يدرس العلاقات التي تربط العناصر التي تتعاقب زمنيا ولا يدركها العقل الجماعي، وكل عنصر يحل محل العنصر الآخر "(٤).

وقد سعى المستشرقون إلى دراسة القرآن الكريم من خلال منهجهم هذا؛ بغية الوصول إلى مقاربة القرآن الكريم، ولتتبع تاريخ أجزاء النصوص القرآنية، والكشف عن مصادرها التي ركبت منها؛ ومن هنا:

---

(١) انظر: أ.د. محمد خليفة حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد ((الكتاب المقدس))، منشور على الموقع:
http://www.alhiwartoday.net/node/
تم الاسترجاع في ١٤٤٤/١١/٢٧هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م

(٢) مصطفى، عادل: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، مؤسسة هنداوي للنشر، ط١، ٢٠١٨م، ص١٥٥. وديفيد كوزنز هوى، الحلقة النقدية. الأدب والتاريخ والهرمينوطيقا الفلسفية، ترجمة وتقديم: خالدة حامد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٣.

(٣) دايفيد، جاسبر، مقدمة في الهرمنيوطيقا، ترجمة: وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، ط١ – ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٢١.

(٤) دي سوسير فردينان، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، العراق، ط٢، ١٩٨٥م، ص١١٧.

ارتكزت دراسات الاستشراق حول القرآن الكريم على: البحث في تاريخه، وملابسات تدوينه، والتطورات التي لحقت به، والبحث في ترتيب سوره وآياته زمنيا، ومحاولة الكشف عن الأصول التي استقي منها النص القرآني، والتي أرجعها بعضهم إلى الكتاب المقدس بعهديه: القديم، والجديد؛ فعقدوا المقارنات بينه وبين النصوص السابقة عليه، وبعضهم أرجعها إلى تأثره بالثقافات المجاورة للبيئة العربية، فنقبوا بحثا في العلاقات بين النص القرآني، والبيئة التي نزل فيها، ووجوه أثرها، فانطلقت تلك الدراسات الاستشراقية من فرضية: أن النص القرآني يبدو – من وجهة نظرهم – مركبا من أجزاء ليست متسقة، ولا مرتبة بذات الطريقة الخطية المعهودة في الكتابات بصورة عامة، ومن ثم لجأوا إلى: البحث في تاريخ القرآن الكريم؛ بغية الوصول إلى مرادهم في الكيد لكتاب الله المجيد.

ثانياً– مراحل استخدام الهرمنيوطيقا وتطورها:

تطورت الهرمنيوطيقا في فترة العصور الوسطى وذلك بعد أن ظهرت إشكاليات في قراءة الكتاب المقدس وفهمه؛ فارتبطت الهرمنيوطيقا التأويلية باللاهوت المسيحي، وتفسير الكتاب المقدس؛ فتطور المصطلح مع بداية الصراع الفكري المسيحي، وظهور البروتستانتية[(١)] على يد: "مارتن لوثر"، و"جون كلفن"؛ حيث اتسعت دائرة الهرمنيوطيقا من تفسير النص إلى عملية فهم النص؛ لأن البروتستانت حاولوا التخلص من سلطة الكنيسة عبر تفسير الكتاب المقدس دون الرجوع إلى الكنيسة؛ ومن ثم عرفت الهرمنيوطيقا بأنها: نظرية تفسير الكتاب المقدس، ويرى الدكتور عادل مصطفى أن هذا التعريف للهرمنيوطيقا يعد من أقدم التعريفات، ولا يزال أوسعها انتشارا؛ وأن مبرر ذلك من الوجهة التاريخية: أن اللفظة إنما استعملت في طورها الحديث عندما ألحت الحاجة إلى مبحث جديد؛ يقدم القواعد اللازمة للتفسير الصحيح للكتاب المقدس[(٢)].

وقد أخذت الهرمنيوطيقا طورا جديدا في الدراسات الغربية؛ فأطلق عليها المنهاج الفقهي اللغوي: "الفيلولوجي"، فمنذ بداية عصر التنوير حتى العصر الحاضر: أصبحت مناهج البحث في الكتاب المقدس،

---

(١) **البروتستانت: ويسمون الإنجيليين**: "وهم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في ألمانيا، وكان ينادي بإصلاح الكنيسة، وتخليصها من الفساد الذي صار صبغة لها، وأهم ما يتميز به أتباع هذه النِّحلة هو:

١– أن صكوك الغفران: دجل، وكذب، وأن الخطايا والذنوب لا تغفر إلا بالندم والتوبة.

٢– أن لكل واحد الحق في فهم الإنجيل وقراءته، وليس وقفا على الكنيسة.

٣– تحريم الصور والتماثيل في الكنائس؛ لأنها مظهر من مظاهر الوثنية.

٤– منع الرهبنة.

٥– أن العشاء الرباني تذكار لما حل بالمسيح من الصلب في زعمهم، وأنكروا أن يتحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح عليه السلام.

٦– ليس لكنائسهم رئيس عام يتبعون قوله. وهذه النِّحلة تنتشر في ألمانيا وبريطانيا، وكثير من بلاد أوربا وأمريكا الشمالية". الخلف، سعود ابن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٣٧٦.

(٢) مصطفى، عادل: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، مرجع سابق، ص ٤٠.

والتي أطلق عليها: "هرمنيوطيقا الكتاب المقدس"، وأصبحت وثيقة الصلة بفقه اللغة؛ فحل مصطلح: "هرمنيوطيقا الكتاب المقدس" محل "الهرمنيوطيقا" في الإشارة إلى نظرية تفسير النص المقدس، أما "الهرمنيوطيقا" حين تقال مطلقة غير مقيدة؛ فإنها مرادفة للمنهج الفقهي اللغوي؛ فتصور الهرمنيوطيقا بوصفها إنجيلية تحديدا: قد تحول تدريجيا إلى الهرمنيوطيقا بوصفها القواعد العامة للتفسير الفيلولوجي (الفقهي اللغوي)؛ لتعطي الصلاحية لفحص النص واستنطاقه، والتخلية بينه وبين القارئ دون الرجوع إلى كاتبه لفهم المعنى، وهذا ما أدى إلى: تضارب تفاسير الكتاب المقدس، وتعاند الآراء، ونزع قدسية النص، وفتح باب الهوى على مصراعيه، ثم قام المستشرقون الجدد بنقل تلك التجربة على النصوص الدينية الإسلامية، وهذا ما انتهجه علمانيو[1] العصر الحديث؛ حيث إنهم أعطوا لأنفسهم الحق المطلق في تأويل النص حسب أهوائهم، دون تلق لأصول العلم؛ فنزعوا قداسة النص القرآني، وأطلقوا لأنفسهم العنان؛ ليقولوا في كتاب الله بأهوائهم.

ثالثاً– المستشرقون المهتمون بدراسة القرآن الكريم:

من أهم المستشرقين الجدد الذين اهتموا بدراسة تاريخ القرآن الكريم المستشرق الفرنسي: "لويس دي بريمار" (١٩٣٠– ٢٠٠٦م) وهو مؤرخ فرنسي، متخصص في اللغة والحضارة العربية، ودراسات تاريخ الإسلام، وأستاذ فخري بجامعة إكس أون بروفانس– مارسيليا، وباحث ومعلم في معهد الدراسات والأبحاث حول العالم العربي والإسلامي (IREMAM)، وقد قضى لويس بريمار طفولته في: المغرب العربي؛ حيث إنه تعلم اللغة العربية، ودرس آدابها، وفنونها في معهد الدراسات العليا المغربية، وفي جامعة محمد الخامس، ورُحِّبَ به في معهد الآباء الدومنيكان بالقاهرة في الفترة من عام ١٩٦٣م إلى عام ١٩٦٥م، وقد درس في جامعات عربية، مثل: جامعة قسنطينة بالجزائر، والرباط بالمغرب، وقد أولى جزءا كبيرا من اهتمامه أثناء تدريسه في جامعة إكس أون بروفانس بتاريخ الإسلام، وبدايته، وتاريخ القرآن، والسيرة النبوية، ومن أشهر كتبه في هذا الموضوع كتاب: (تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ)، وقد توفي بريمار عام ٢٠٠٦م.

ويعد كتابه: (تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ) من أهم الكتب الغربية المعاصرة التي تناولت التاريخ للقرآن الكريم؛ فقد كان هذا الموضوع من الأهمية بمكان؛ حيث شهد نقاشات موسعة في العقود الأخيرة، وهذا نتاج لما بات يعرف بين الباحثين الغربيين بالاتجاه التنقيحي، بعد أن احتل الصدارة في البحث الاستشراقي المعاصر، وما حققه هذا الاتجاه من طرح إشكالات منهجية كبيرة على المصادر

---

(١) العلمانية: "مذهب يُخرج الاعتبارات الدينية من العلاقات المدنيَّة والتعليم العامّ (دولة عَلْمانيّة)". معجم اللغة العربية المعاصرة (١٥٤٥/٢).

وعرفتها دائرة المعارف البريطانية بأنها: " حركة اجتماعية تهدف إلى: صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها". المغربي، أبو سفيان مصطفى باحُو السلاوي، العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة– مصر، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص١١٤.

التاريخية الإسلامية، مثل: السير، وتاريخ الأمم، وعلم الرجال، وتدوين المصحف؛ فقد شكك أعلام هذا الاتجاه الحديث في مصداقية الرواية للمصادر التاريخية الإسلامية عن تاريخ الإسلام، وتاريخ القرآن، ثم طبّقوا النقد العالي المستقى من دراسات العهدين: القديم، والجديد؛ ليصفوا به تاريخ الإسلام عموما، وتاريخ القرآن الكريم والسنة على وجه الخصوص؛ مما أدى إلى استنتاجات فاسدة جعلتهم يروجون لإنزال المصادر الإسلامية في مرتبة دنيا، في سلم الهرم المعرفي، وتقليلهم من القيمة التاريخية لتلك المصادر الرئيسة لتاريخ القرآن الكريم؛ فقد فاق المستشرقون الجدد في خطورتهم من سبقهم من المستشرقين الكلاسيكيين(١).

لقد قام المستشرق الفرنسي ألفريد لويس دي بريمار بتضمين كتابه: (تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ)؛ بعض الإفتراءات؛ لذا عده الغربيون: من أهم الأسماء على ساحة الاستشراق المعاصر المتخصص في دراسات تاريخ الإسلام، وتاريخ القرآن؛ فدار في فلك الحقل المعرفي للمستشرقين الجدد، فأنتج عمله في إطار ما بعد بروز الاتجاه التنقيحي؛ والذي يشكك في المصادر الأساسية لكتابة التاريخ الإسلامي، وبالأخص ما يتعلق: بكتابة تاريخ القرآن، ويلاحظ أنه في جل كتاباته يستعرض هذه الوضعية والمنهجية الجديدة؛ التي سيطرت على الباحث الغربي، فأخذ يستعرض خيارات الباحثين في بنائهم سردية متماسكة حول التاريخ الإسلامي، وتاريخ القرآن، وحول سيرة النبي، ويشتبك معهم في ظل عملية معقدة مزدوجة، جمعت في خبثها بين: التشكيك في المصادر الإسلامية من جهة، وقلة المصادر غير العربية والأدلة المادية الصلبة: كالنقوش، والعملات، والحفريات من جهة أخرى(٢).

يقول طارق حجي: بريمار ينطلق في دراسته لتاريخ القرآن من محاولة أوليّة لتبرير التشكيك في المرويات الإسلامية حول هذا التاريخ، وهذا يتم عن طريق توصيفَيْن أساسَيْن لهذه المرويات:

الأول: أن هذه الروايات الإسلامية جاءت من منطلق أيديولوجي له بعد سياسي يتعلق برؤية مجموعات محددة لموقعها السياسي والديني؛ فافترض بريمار: أن الأساس في جمع القرآن بمنزلة مسألة سياسية، ويمثل بريمار لهذه المرويات بـ: المرويات الشيعية حول مصحف: (علي)؛ الذي يحوي سُوَرًا تروي فضائله تخلص منها الخلفاء.

الثاني: ادعاء بريمار: غياب بعض المفاهيم الرئيسة التي يقوم عليها تاريخ الجمع، وغيوم العلاقة بين القرآن والحديث؛ فمفهوم الجمع عند بريمار كان متأرجحا بين: مجرد الاستظهار عن ظهر قلب، والكتابة والجمع في مجلد واحد، كما أشار بريمار إلى بعض المرويات المتأخرة عن تاريخ الجمع الذي تقره المصادر

(١) بريمار، ألفريد لويس دي: تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ، ترجمة: عيسى محاسبي، دار الساقي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٥٠.

(٢) حجي، طارق: القرآن ومصادر التاريخ لبدايات الإسلام في الدرس الاسْتِشْرَاقي قراءة في كتاب: تأسيس الإسلام، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط١، ٢٠١٩م، ص١٨٠.

الإسلامية بشكل يوحي كأن ثمة خلطا بين القرآن والحديث، استمر لفترة متأخرة من التاريخ الإسلامي تصل إلى خلافة معاوية[١].

تعقيب: لقد توهم المستشرقون الجدد أنهم بتبنيهم الاتجاه التنقيحي لتاريخ القرآن الكريم، وجدوا الثلمة التي ينفذون منها للتشكيك في القرآن الكريم، وفي نبوة رسول الله ﷺ، ويكفي في تهافت هذا المنهج: اعتماده تطبيق النقد العالي للكتاب المقدس على القرآن الكريم، وهذا جهل مطبق؛ لأن القرآن الكريم لم يحدث له مثلما حدث للكتب السابقة، وكتبة الوحي للقرآن الكريم معلومون؛ بخلاف الكتاب المقدس، وترتيب السور والآيات توقيفي لا دخل لأي بشر فيه؛ بخلاف الكتاب المقدس، فكيف يمكن إنزالهما في منزلة واحدة، وهل يستوي كتاب تعهد الله بحفظه وأثبت الزمان ذلك، بكتب زعم أنها مقدسة والكتاب الواحد منها كتبه أكثر من شخص؛ فاختلفت أكثر محتوياتها بما قد يصل في بعضها إلى حد التناقض.

ومن سلبيات المنهج التنقيحي: أنه منهج مسفر عن شبه وافتراءات؛ فأفصح الكثير من المستشرقين الجدد عمّا كان يستحي منه سابقوهم، فنادوا بالتشكيك في الروايات المتواترة، والطعن في ثوابت الدين دون ضابط أو رابط، وأعظم منه سُوءًا: أنهم جعلوا الحكم على الثابت المتواتر عند المسلمين خاضعا لما يؤيده من الكتابات الغربية، وهذا لعمري في القياس بديع! فكيف لفاقد الشيء أن يعطيه؟ كيف يمكن التحاكم إلى تاريخ يفتقر السند؟ وعلم الرجال؟ ليحكم على أمة حفظ الله تراثها بالسند المتواتر، وكيف تستوي أمة حفظت تاريخها وخصصت للرجال علما سجلت به أحوال الرواة، وسيرتهم، ورحلاتهم، بأمم مزقت في وديان التاريخ، وقيعانه شر ممزق؟ وكيف لمجهول أن يستبيح الحكم على معلوم؟!

رابعاً– بعض الكتابات المشتهرة حول تطبيق الهرمنيوطيقا على القرآن الكريم:

إن الكتابات التي طبقت الهرمنيوطيقا على القرآن الكريم كتاب بعنوان: (القرآن والكتاب المقدس: النص والتفسير)، للمستشرق جبريل رينولدز، ولعله من أبرز الكتابات حول تطبيق الهرمنيوطيقا على القرآن الكريم، وله أيضا مقال بعنوان: (المسيحية في القرآن، تعدد مظاهر البيان القرآني إزاء عرض المسيحية)؛ فقد طبّق المؤلف المنهج الهرمنيوطيقي على القرآن الكريم؛ ليثير عددا من الشبهات حوله؛ وذلك باستنطاق النص من الناحية التاريخية، وهذا دأب المستشرقين الجدد عند تفسيرهم كيفية عرض القرآن الكريم للمسيحية؛ فزعموا: أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم بنى تصوره عن المسيحية في القرآن الكريم مستندا إلى: آراء المهرطقين[٢] المسيحيين؛ فيبدأون بربط بعض عبارات القرآن الكريم عن يسوع المسيح، أو مريم، أو

(١) حجي، طارق: مقال بعنوان: القرآن، ومصادر التاريخ لبدايات الإسلام، في الدرس الاستشراقي، قراءة في كتاب: (تأسيس الإسلام) لبرمار، منشور على الانترنت، اطلع عليه بتاريخ: ٢٠٢٣/٤/٤م.

(٢) الهرطقة: البدعة في الدين ...، ومعناها: الأخذ والتمسك. وهي من مصطلحات النصارى، وربما قالوا هرتقة: وصاحبها هرطوقي ..، ويقال في جمعها: هراطقة واراتقة. ويبنون من ذلك فعلاً؛ فيقولون: هرطقي؛ أي: نسبه إلى هرطقة. انظر: دُوزِي، رينهارت بيتر آن: تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ – ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م، (١٢/١١).

المسيحيين بهرطوقة مسيحية محددة، ثم يواصلون البحث من خلال السجلات التاريخية، أو الهرطقات، عن تلك المسألة المهرطقة في شبه الجزيرة العربية التي عاش فيها النبي محمد، وتوظف هذه الاستراتيجية النصوص القرآنية، والنصوص التي تدين التعاليم المسيحية، وفي كلتا الحالتين: يزعم المستشرقون أن يكون لتلك الهرطقات المسيحية تأثير، أو إلهام ضلل النبي محمدا عن المسيحية، وبنى المستشرقون تلك الشبهات: على نشأة النبي في الجزيرة العربية؛ وهي مكان بعيد عن الإمبراطورية البيزنطية، وأنها كانت مأوى للمهرطقين؛ الذين تأثر بهم النبي محمد ﷺ[(١)].

فافترضوا: أن المسلمين تأثروا بالمسيحيين النسطوريين؛ وهم: المسيحيون السوريون الشرقيون، ولم يختلطوا بالمسيحيين الملكانيين الخلقيدونيين، مع أثر في تكوين اعتقاد خاطئ عن المسيحية.

وهذا الكلام مردود جملة وتفصيلا؛ وذلك لعدم ثبوت مثول النبي ﷺ شيئا لتلقي العلم عن هؤلاء النصارى، كما يهدم شبهتهم الخبيثة أن المسلمين اختلطوا بالمهرطقين من النصارى، دون مخالطتهم للمسيحية الحقة التي يزعمونها في الإمبراطورية البيزنطية أن المسلمين هاجروا إلى معقل النصرانية في الحبشة، وحاجوهم برسالة الرسول ﷺ بما نزل في سورة مريم، ووصلوا إلى عمق الإمبراطورية البيزنطية، وشاهد ذلك حديث هرقل عظيم الروم مع أبي سفيان.

كما أن من كتابات المستشرقين حول تطبيق الهرمنيوطيقا على القرآن الكريم: المقالة التي صنفها المستشرق "سيدني غريفيث"، (١٩٣٨م)، وهو أستاذ الدراسات المسيحية المبكرة في الجامعة الكاثوليكية الأمريكية، والذي عمل أستاذا زائرا في أكثر من جامعة، مثل: الجامعة العبرية، وجامعة جورج تاون، وجل اهتمامه بالمسيحية العربية، والعلاقات المسيحية الإسلامية في العصور الوسطى، من أشهر مؤلفاته في هذا السياق: (الكنيسة في ظل المسجد، ٢٠٠٨م)، و (الكتاب المقدس العربي، نص أهل الكتاب المقدس بلغة الإسلام، ٢٠١٣م)؛ حيث ذكر غريفث في مقالته الموسومة بـ: (النصارى في القرآن: دراسة هرمنيوطيقية): أن استخدام القرآن لمصطلح "النصارى"؛ ليطلق على المسيحيين خلافا لبعض الترجمات المفترضة للكلمة اليونانية: kristianoi، مثل: المسيحية، وكلمة النصارى هي التي ارتضاها مسيحيو العرب، وأطلقوها على أنفسهم؛ لذا فإن استخدام مصطلح النصارى في القرآن دليل على تأثر النبي محمد ببعض الطوائف اليهومسيحية؛ ويعني به: تهويد الطوائف المسيحية[(٢)].

---

(١) انظر: جبريل سعيد رينولدز، المسيحية في القرآن، تعدّد مظاهر البيان القرآني إزاء عرض المسيحية، ترجمة: مصطفى الفقي، منشورات مركز تفسير للدراسات القانونية على الموقع:
https://tafsir.net/translation/٥٩/al-msyhyt-fy-al-qr-aan-t-d-dd-mzahr-al-byan-al-qr-aany-iza-a-ard-al-msyhyh.

(٢) انظر: جبريل سعيد رينولدز، المسيحية في القرآن، تعدّد مظاهر البيان القرآني إزاء عرض المسيحية، ترجمة: مصطفى الفقي، منشورات مركز تفسير للدراسات القانونية على الموقع:

خامساً– بعض النماذج التطبيقية على المنهج الهرمنيوطيقي في القرآن الكريم:

من النماذج التطبيقية للمنهج الهرمنيوطيقي على القرآن الكريم: ما قام به: رينولدز؛ فقد كتب تعليقا على الآية: [٣١] من سورة التوبة وهي قوله تعالى:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾؛ حيث يقرر: أنه عند استنطاق هذه الآية الآن بمنهج يجعلنا نعثر على طوائف تاريخية كان لها تأثير في وصف القرآن للمسيحية؛ فإنه يتحتم عندئذ البحث في بعض الطوائف المهرطقة من المسيحيين؛ الذين عبدوا علماءهم ورهبانهم كآلهة. والذين يطلق عليهم: (الكهنوتيون Sacerdolators).

ويرى رينولدز: أن هؤلاء الكهنوتيين فروا إلى الصحراء العربية؛ ليتمكنوا من عبادة رهبانهم بأمان، بعيدا عن وطأة الأرثوذكسية[(١)]، وملاحقة السلطة البيزنطية الصارمة في حكمها، كما أنه وضع افتراضًا آخر بدلا عن الأول، وهو أن النهج القرآني في هذه الآية أغرق في إبراز الآراء المعارضة له، وأنه لم يكن في محيط البيئة التي نزل فيها القرآن طائفة مهرطقة من عباد الرهبان، ويستنتج من هذا: أن للقرآن طريقة دقيقة في السخرية من خصومه، ووصمهم بما ليس فيهم، ويخلص إلى أن هذا هو الإدراك الذي ينبغي أن يشكل فهم تلك الآيات التي يفترض غالبا أنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالهرطقة المسيحية[(٢)].

ويرد على هذه الشبهة: بأن مثل هذه النماذج: مسألة صلب المسيح ورفعه، وعبادة المسيح ابن مريم عليه السلام وأمه، ونداءه في القرآن الكريم بعيسى ابن مريم،

---

https://tafsir.net/translation/٥٩/al-msyhyt-fy-al-qr-aan-t-d-dd-mzahr-al-byan-al-qr-aany-iza-a-ard-al-msyhyh .

(١) هم من أخذوا بقرار مجمع خلقيدونية، ويقال لهم: الملكانية نسبة إلى الملك، وهو الإمبراطور الروماني البيزنطي. **والأرثوذكس:** هم نصارى الشرق الذين تبعوا الكنيسة الشرقية في القسطنطينية، وأهم ما يتميزون به هو:

١- أن الروح القدس انبثق عندهم من الأب فقط.

٢- تحريم الطلاق إلا في حالة الزنا؛ فإنه يجوز عندهم.

٣- لا يجتمعون تحت لواء رئيس واحد؛ بل كل كنيسة مستقلة بنفسها، وهذا المذهب منتشر في أوربا الشرقية وروسيا.

انظر: الخلف، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مرجع سابق، ص ٣٧٥.

وموسوعة الملل والأديان، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت (١/٤١٣، ٤١٤).

(٢) انظر: جبريل سعيد رينولدز، المسيحية في القرآن، تعدّد مظاهر البيان القرآني إزاء عرض المسيحية، ترجمة: مصطفى الفقي، منشورات مركز تفسير للدراسات القانونية على الموقع:

https://tafsir.net/translation/٥٩/al-msyhyt-fy-al-qr-aan-t-d-dd-mzahr-al-byan-al-qr-aany-iza-a-ard-al-msyhyh.

والتي توهم المستشرقون الجدد بأن هذا يرجع إلى سببين:

الأول: إما إلى مخالطة النبي لطوائف المهرطقين الفارين إلى جبال الجزيرة العربية؛ ومن خلال هذه المخالطة تلقى هذه التعاليم المغلوطة.

الثاني: أن هذه الأغاليط حسبما يزعمون أتى بها النبي محمد من عنده وضمنها القرآن؛ للسخرية من خصومه.

ويلاحظ: أن كلا الاحتمالين متساقط؛ فالنبي ﷺ لم يأت بالوحي من تلقاء نفسه، كما زعم المستشرقون، وأنه لم يتلق الوحي عن النصارى المهاجرين في جبال الجزيرة العربية، ولم يثبت لقاؤه بهم؛ فرحلاته، ومدخله، ومخرجه عليه الصلاة والسلام كان تحت مسمع ومرأى أهل مكة؛ ولو تحقق هذا لما ترك مشركو مكة رسول الله دون اتهامه بتلك الفرية.

كما أن الفرض الآخر وهو: أن رسول الله ﷺ استعمل أسلوب السخرية، فرمى خصومه بما لم يتحقق فيهم من باب تحقيق الحجاج، وإثبات مخالفتهم لعقيدة الإسلام يتساقط أيضا؛ فهو كذب على الصادق المصدوق ﷺ، وجوهر الفرية: اتهامه بالكذب على الله مرة، وعلى أهل الكتاب مرة أخرى، وهذا من تضليلات الكذبة؛ الذين لم يقرأوا سيرته العطرة، ولم يتزودوا بالمنهجية الصحيحة قبل أن يطلقوا لأنفسهم العنان في سب النبي ﷺ، فيتهمونه بالكذب زورا وبهتانا.

المبحث الثالث:

الاتجاه التزامني في دراسات المستشرقين الجدد للقرآن الكريم

وفيه تمهيد، ومطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاتجاه التزامني ومميزاته.

المطلب الثاني: مؤلفات المستشرقين في النص القرآني وأبرز المهتمين بالدراسات المعنية بهذا الجانب.

تمهيد:

ظل المنهج التاريخي النقدي مهيمنا على الدراسات الاستشراقية فترة من الزمن؛ للبحث في تاريخ القرآن الكريم، حتى صار علامة بارزة في الدراسات الغربية، ثم شهد الدرس الاستشراقي حديثا: ظهورا لمنهج جديد، وهو: الاتجاه التزامني (السانكروني)؛ والذي يختلف عن المنهج التاريخي، الذي ارتكز حول البحث في مصادر القرآن الكريم، ودعمه قضية تأثر النص القرآني بالكتب والثقافات السابقة، ومن ثم التشكيك في مصدر القرآن الكريم؛ لكن الاتجاه التزامني يرتكز حول: النص القرآني – كما هو موجود الآن

– بوصفه نصا متسقا، له بنية تحتاج للكشف عنها، والبحث فيها؛ لفهمها، ومن ثم: اختص المنهج التزامني بالكشف عن هذه البنية، وفهم أبعادها.

ومن أصحاب الدراسات الاستشراقية من جمع بين: المنهج التاريخي، والمنهج التزامني، ومنهم: من فرق بين المنهجين؛ وذلك لتمايز المنهجين، وذكروا عدة نقاط للتمايز بينهما، مثل: قيام المنهج التزامني بتجاوز بعض الأفكار الملازمة للمنهج التاريخي، والسعي في حل الإشكالات المترتبة عنه، أخصها: مسألة التأثير والتأثر التي تبناها المنهج التاريخي؛ والتي شكلت الإطار العام للدرس الاستشراقي عند كثير من الكتابات الاستشراقية الكلاسيكية، ويأتي على رأسها كتاب جيجر: (ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟)، فانتقلت الدراسة التزامنية (السانكرونية) من البحث عن مصدر النص إلى: التناص؛ والذي يحيل بدلا من مفاهيم: (الانتحال، والاقتباس)؛ – التي تدع الدارس دوما خارج النص– إلى: مساحات إعادة الصياغة، والتشكيل التي قام بها النص القرآني نفسه، كبناء خاص في تعامله مع النصوص السابقة عليه؛ بغية الهيمنة النصية، والعقدية عليها، وهو ما يرتبط بمفهوم بات مهما في الدرس الاستشراقي، وهو: (المرجعية الذاتية للنص)؛ والذي يعني: امتلاك النص بؤرة، أو مركزا دلاليا يتحكم في الدلالات الجزئية له، ويحدد مستوياتها الدلالية.

المطلب الأول

تعريف الاتجاه التزامني ومميزاته

أولاً– تعريف الاتجاه التزامني:

ويسمى الاتجاه السانكروني، ويقصد به: "أن النصّ القرآني كما هو موجود الآن: نصٌّ متسقٌ، وله بُنْيَة تحتاج للكشف عنها، والبحث فيها؛ لفهمها، ومِن ثَمّ: استثمار المنهج التزامني لا التعاقبي في الكشف عن هذه البنية، وفهم أبعادها"(١).

وعلم اللغة السنكروني هو: دراسة لغوية آنية لحقبة زمانية معينة ومحددة، لجماعة لغوية واحدة، وهذا يتخذ شكل البعد، أكثر من اتخاذه شكل العلم؛ وهذا البعد يعنى بدراسة المستوى اللغوي لعصر معين؛ اعتمادا على الاستقراء الشامل للأمثلة، ويستبعد أي تفسيرات تاريخية للتغيرات التي تطرأ عليه (٢).

كما يعرف مفهوم السنكروني بأنه: منهج واضح المعالم في علم اللغة؛ يحصر الدراسة في اللغة ولأجلها، في حقبة زمانية محددة، ويسبر أغوارها؛ محّللا: صفاتها، وخصائصها في مستويات الأداء اللغوي،

(١) مسئولو قسم الترجمة بموقع تفسير للدراسات القرآنية، الاتجاه السانكروني (التزامني) في دراسة القرآن الكريم، مدخل تعريفي، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ٢٠٢٠م، (٢/٦).

(٢) دراج، أحمد عبد العزيز: الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد ناشرون، السعودية، ٢٠٠٢م، ص٧٩،٨٠.

دون اللجوء إلى التبرير التاريخي؛ بل هي: مقاربة داخلية في أنساق اللغة لا تخرج منها، ويمكن تعريف المنهج السنكروني أو الآني بأنه: المنهج الوصفي في حد ذاته، بطابعه البنيوي في علم اللغة[١].

ثانياً– مميزات المنهج التزامني:

يمتاز المنهج التزامني عن المنهج التاريخي بأن فيه: الترتيب الموضوعي للنص؛ فهو المفتاح الوحيد لجعل أفكار النص جلية للقارئ الغربي، فجاءت الدراسات التزامنية السانكرونية؛ لتجاوز الإشكال الذي قام عليه المنهج التاريخي، والذي زعم أصحابه أن الترتيب التاريخي للقرآن هو المفتاح الوحيد لفهمه عند ربطه بواقع الدعوة التاريخي، ثم قيامهم بالتشكيك في الأحداث التاريخية، والأشخاص، وفي هويتهم، فانهدم به الأصل الذي قام عليه المنهج التاريخي؛ لكن المنهج التزامني: بحث في النص القرآني بوصفه بنية نصية[٢].

المطلب الثاني

مؤلفات المستشرقين في النص القرآني وأبرز المهتمين بالدراسات المعنية بهذا الجانب

يعدُّ كتاب: (القرآن كنص) من أشهر مؤلفات المستشرقين في هذا الموضوع، وقد حرره المستشرق الألماني: "شتيفان فيلد"، بمشاركة مجموعة من المستشرقين الجدد، على رأسهم: (أنجيليكا نويفرت، وأندرو ريبين، وجوزيف فان إس، وكلود جيليو، ونويد كرمان)، وغيرهم، وقد اهتم فيه الباحثون بالمنهج التزامني لدراسة النص القرآني، من خلال: تطبيقات النظريات الأدبية الحديثة: كالتناص، والبنيوية.

ويعد "نيل روبنسون" Neal Robinson (١٩٨٤م) أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة ليدز، من المستشرقين المهتمين بهذا الموضوع، ويعد أحد أعلام الاتجاه التزامني لقراءة القرآن، ومن أشهر كتبه: (المسيح بين الإسلام والمسيحية، Christ in Islam and Christianity)، الصادر سنة ١٩٩٠م، و(الإسلام مقدمة قصيرة)، الصادر عام ١٩٩٩م، ويتجلى تطبيقه للمنهج التزامني في كتابه: (اكتشاف القرآن؛ قراءة معاصرة في نص مقنع)، الصادر عام ١٩٩٦م؛ حيث درس فيه فكرة القراءة التزامنية للنص نظريا، ثم طبقها على سور مكية ومدنية؛ منها سورة البقرة الأكثر طولا، وفصل فيها عناصر تماسك السور: الأسلوبية والمضمونية، ثم أصدر ورقة بحثية تطبيقية لمنهج الاتجاه التزامني تحت عنوان: (بنية وتفسير سورة المؤمنون)، أظهر فيها بعض الاختلافات عن "نويفرت" حول بنية هذه السورة، وتقسيمها.

وقد أبرز روبنسون: اعتراضاته على تقسيم أنجيليكا نويفرت في كتابها: (دراسات في تركيب السور المكية)، الصادر بالألمانية سنة ١٩٨١م؛ فاعترض على تقسيمها للسورة مستندا لبعض المعايير؛ مثل: التناسب في الطول، وموضع الآيات الافتتاحية لكل قسم من السورة، ويستخدم "روبنسون" في اشتغاله

(١) مسعى، منير، ثنائية السنكروني والدياكروني في البحث اللهجي، دراسة جغرافية لغوية، مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، المجلد الثاني ـ العدد الرابع، سنة: ٢٠٢٠م، ص٧٥، ٧٦.

(٢) مسؤولو قسم الترجمة بموقع تفسير للدراسات القرآنية: ٢٠٢٠م، مرجع سابق، ص٢٣١

على (سورة المؤمنون): عددا من المفاهيم المستمدة من مناهج دراسة النصوص الأدبية، ومناهج دراسات الكتاب المقدس؛ مثل: (اللوحة الأولية والنهائية، والتقويس، والتقابل العكسي، ويقصد به: أن السورة اختتمت بآية فيها كلمتان مشتقتان من البسملة وهما: (ارحم، والراحمين)، في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨ ﴾[(١)]؛ ويحاول عبر توظيف هذه المفاهيم: اكتشاف بنية السورة، والتقسيم الأنسب لها، كما أنه استخدم مفهوم الظاهرة الشفاهية – السمعية؛ حتى يتمكن من تطوير النظر في مسألة تناسب أقسام السورة؛ وذلك باستدعاء عملية تلاوة النص شفهيا كأحد عناصر بنيته، وهي نظرة مهمة، ولافتة تستحضر بعدا غائبا عن كثير من محاولات القراءة التزامنية للقرآن[(٢)].

ومن الدراسات المعنية بموضوع المنهج التزامني أيضا كتاب: (الكتاب المقدس والقرآن، نسق أدبي واحد) للمستشرق: "ميشيل كويبرس"؛ وهو رائد تطبيق منهجية: التحليل البلاغي للقرآن في الدراسات الغربية الاستشراقية؛ والتي تتمثل في: تحليل النص القرآني تبعا لقواعد البلاغة السامية، فحاول في مؤلفه: بيان الكيفية التي يتركب منها النص القرآني وفق الدرس البلاغي، وإبراز نتائج تطبيق هذه المنهجية على فهم القرآن الكريم، أو تقديم تفسير جديد[(٣)].

وتكمن خطورة الموضوع في: دراساته للنص القرآني، وبيان صلته بنصوص الكتاب المقدس من خلال: تطبيقات تناصية، تجعل النص القرآني خاضعا في استخراج الشواهد البلاغية لما سبقه به الكتاب المقدس؛ مما يجعل القرآن الكريم تابعًا لغيره، منتحلا لنصوص سابقة في استخدام القواعد البلاغية، كما أنه يفتح الباب لنظرية تأثر القرآن بنصوص الكتاب المقدس، التي يدندن حولها المستشرقون.

وتتجلى هذه الإشكالية عند "ميشيل كويبرس" أيضا؛ في مقالة بعنوان: (قراءة بلاغية وتناصية لسورة الإخلاص)، وقد نشرت بمعهد الدومنيكان بالقاهرة سنة ٢٠٠٤م، والتي توسع فيها كويبرس؛ وهذه التوسعة التي قام بها تعني: الانتقال بتقنية التناص من كونها تقنية نصية تنشأ عن تفاعل النصوص داخل إطارات نصية تشهد العديد من الاتفاق في التركيب والموضوع إلى: التطبيق في الدراسات الدينية خصوصا القرآنية؛ وذلك بالبحث في البناء القرآني لقصة أو موضوع بعينه تناوله القرآن، ومقابلته بنظيره في نصوص الكتاب المقدس؛ مما يفتح الباب أمام بعضهم للطعن في جمع القرآن الكريم، وفي مصدريته، وفي الوحي القرآني، ومن ثم: الطعن في القرآن الكريم جملة[(٤)].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية (١١٨).

(٢) انظر: نيل روبنسون: بنية وتفسير سورة المؤمنون، ترجمة: أمنية أبو بكر، بحث إلكتروني منشور على موقع تفسير للدراسات القرآنية، تم استرجاعه في ٢/ ٤/ ٢٠٢١م، ص ٢٣.

(٣) انظر: ميشيل كويبرس: قراءة بلاغية وتناصية لسورة الإخلاص، ترجمة: عبير عدلي، بحث إلكتروني منشور على موقع تفسير للدراسات القرآنية، تم استرجاعه في ٢٠٢١/٤/٩م، ص ١٢٣.

(٤) انظر: ميشيل كويبرس: قراءة بلاغية وتناصية لسورة الإخلاص، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعان على إتمام هذا البحث الموسوم بـ: "مطاعن المستشرقين الجدد في القرآن الكريم والرد عليها"، ونسأل الله أن يجعله علما ينتفع به، فقد حاولت فيه الباحثة أن تجمع ما أمكنها جمعه مما تيسر لها من مراجع، وقد خلصت من كل ذلك إلى التوصل إلى عدد من النتائج والتوصيات، نورد أهمها على النحو الآتي:

أ- أهم النتائج:

١- أن للاستشراق دوافع عدة منها: التبشيرية، والاستعمارية، والعلمية، ويظل الإسلام هو الهدف الرئيس للمستشرقين.

٢- أن جل المستشرقين يفتقدون إلى المنهجية العلمية الصحيحة، والمهارات اللازمة لدراسة الإسلام.

٣- أن القرآن الكريم حظي بالنصيب الأوفى من دراسات المستشرقين؛ إذ أثاروا حوله الشبهات؛ للطعن في تاريخه، ومصدره، كما أثاروا الشبهات حول: تأثره بالكتاب المقدس.

٤- أن المستشرقين الجدد جانبوا الصواب والمنهجية في تطبيق نظريات دراسات الكتاب المقدس ونقده وتطبيقها على القرآن الكريم.

٥- أن دراسات المستشرقين الجدد للقرآن الكريم ارتكزت على البحث في: تاريخه، وجمعه، والبحث في: ترتيب سوره، وآياته زمنيا، ومحاولة الكشف عن أصوله التي استقي منها النص القرآني؛ والتي أرجعها بعضهم إلى الكتاب المقدس، بعهديه: القديم، والجديد.

٦- أن المنهج التاريخي النقدي "التعاقبي/ الدياكروني"، من أهم المناهج الغربية الحديثة التي نهجها المستشرقون الجدد للطعن في القرآن الكريم

٧- أن المستشرقين الجدد استحدثوا عدة مناهج للطعن في القرآن الكريم، مثل: الهرمنيوطيقا، والبنيوية، والاتجاه التزامني السانكروني، والتناص؛ بغية الوصول إلى مآربهم للتشكيك في القرآن الكريم.

التوصيات:

من أهم توصيات البحث:

١- إنشاء مراكز بحثية ودوائر علمية؛ لرصد الشبهات التي يثيرها المستشرقون والمبشرون الجدد حول الإسلام عموما، والقرآن الكريم على وجه الخصوص؛ وتفنيدها.

٢- إنشاء أقسام في الكليات الشرعية تتخصص في الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية؛ لتبليغ صحيح الدين الإسلامي الحنيف في البلاد الأجنبية.

٣- إنشاء قنوات وبرامج علمية لمناقشة شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم؛ لوأد الفتن التي يثيرها المستشرقون.

المصادر والمراجع:

أ- المصادر والمراجع العربية:

١. إبراهيم مصطفى، وآخرون: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
٢. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ .
٣. أحمد صلاح البهنسي: قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشالوم زاوي، قراءة تحليلية نقدية لنماذج مختارة، صادر عن مركز تفسير للدراسات القرآنية.
٤. الأمين، عبدالله محمد: الاسْتِشْرَاق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
٥. بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المسْتَشْرِقِين، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٩٣.
٦. بريمار، ألفريد لويس دي: تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ، ترجمة: عيسى محاسبي، دار الساقي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
٧. البشبيشي، أحمد، المستشرقون والإسلام على ضوء التراجم، مجلة الوعي الإسلامي، السنة الثانية عشرة، العدد (١٣٧). غرة جمادى الأولى ١٣٩٧هـ أيار ١٩٧٦م.
٨. بلر، جون سي: مصادر الإسلام.
٩. تيسدال، سان كلير: المصادر الأصلية للإسلام، ترجمة: عادل جاسم، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٩م.
١٠. جولد تسيهر، أجيناس: مذاهب التفسير الإسلامي، دار اقرأ، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.
١١. حبيب، صموئيل وآخرين: دائرة المعارف الكتابية المسيحية، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
١٢. حجي، طارق: القرآن ومصادر التاريخ لبدايات الإسلام في الدرس الاسْتِشْرَاقي قراءة في كتاب: تأسيس الإسلام، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط١، ٢٠١٩م.
١٣. حميدة، بشير كوكو، القرآن الكريم مَصْدَرٌ لِلتَّاريخ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.
١٤. الخلف، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
١٥. دايفيد، جاسبر، مقدمة في الهرمنيوطيقا، ترجمة: وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، ط١ – ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
١٦. دراج، أحمد عبد العزيز: الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد ناشرون، السعودية، ٢٠٠٢م.

١٧. دُوزِي، رينهارت بيتر آن: تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ – ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م.

١٨. دي سوسير فرديناند، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، العراق، ط٢، ١٩٨٥م.

١٩. ديفيد كوزنز هوى، الحلقة النقدية. الأدب والتاريخ والهرمينوطيقا الفلسفية، ترجمة وتقديم: خالدة حامد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٠. زقزوق، محمود حمدي: الاسْتِشْرَاق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢١. ساسي، سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢.

٢٢. سعد، جهاد، المستشرقون الجدد: كتاب إيان الموند، مجلة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، عدد: (٢٤)، سنة:٢٠٢١م.

٢٣. سعيد، إدوارد: الاسْتِشْرَاق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: د. محمد عناني، رؤية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٤. الصّغير، محمد حسين علي، المستشرقون والدّراسات القرآنية، دار المؤرّخ العربي بيروت، لبنان ط١.

٢٥. عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٢٦. عيد، ثابت: الإسلام في عيون السويسريين، بافاريا، ألمانيا، ط١، ١٩٩٩م.

٢٧. مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الملل والأديان، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت.

٢٨. محمد أمين حسن بني عامر: المسْتَشْرِقُون والقرآن الكريم، طبعة دار الأمل، ٢٠٠٤م.

٢٩. محمد عزت الطهطاوي، التبشير والاستشراق، أحقاد وحملات على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبلاد الإسلام، د.ط.، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٣٠. مسعى، منير، ثنائية السنكروني والدياكروني في البحث اللهجي، دراسة جغرافية لغوية، مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، المجلد الثاني . العدد الرابع، سنة: ٢٠٢٠م.

٣١. مسئولو قسم الترجمة بموقع تفسير للدراسات القرآنية، الاتجاه السانكروني (التزامني) في دراسة القرآن الكريم، مدخل تعريفي، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ٢٠٢٠م.

٣٢. مصطفى، عادل: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، مؤسسة هنداوي للنشر، ط١، ٢٠١٨م.
٣٣. المغربي، أبو سفيان مصطفى باحُّو السلاوي، العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
٣٤. مناهج جامعة المدينة العالمية، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المرحلة: ماجستير، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
٣٥. نجيب العقيقي، المستشرقون.
٣٦. نولدكه، تيدور: تاريخ القرن.
٣٧. يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق؛ الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين.

ب- البحوث والمقالات الإلكترونية:

١. رابط المصدر (ويكيبيديا):
http://en.wikipedia.org/wiki/Uri_Rubin.‹
٢. إبراهيم عوض، المستشرقون الجُدُد"دانيال بايِبْس وبقية أفراد العصابة منشور على الموقع التالي:
تم استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م. https://mtafsir.net/forum%/
٣. أحمد سمير، المستشرقون الجدد، منشور على الموقع التالي:
تم استرجاعه في https://tipyan.com/dangerous-western-reports-about-islam
١٤٤٤/١١/١٠هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/٩م .
٤. أرشيف منتدى الألوكة منشور على الموقع الالكتروني:
استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م. http://majles.alukah.net
٥. الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، عرض كتاب المدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، منشور على الموقع التالي:
تم http://alraweme.blogspot.com/p/blog-page_٢٥.html\
استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م
٦. الاستشراق والقصص القرآني، منشور على الموقع الالكتروني:
https://islamonline.net.‹
٧. الموقع الالكتروني:
تم استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D
٨. الموقع الالكتروني:

تم استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م. https://www.marefa.org

٩. جبريل سعيد رينولدز، المسيحية في القرآن، تعدّد مظاهر البيان القرآني إزاء عرض المسيحية، ترجمة: مصطفى الفقي، منشورات مركز تفسير للدراسات القانونية على الموقع:
https://tafsir.net/translation/٥٩/al-msyhyt-fy-al-qr-aan-t-d-dd-mzahr-al-byan-al-qr-aany-iza-a-ard-al-msyhyh .

١٠. حجي، طارق: مقال بعنوان: القرآن، ومصادر التاريخ لبدايات الإسلام، في الدرس الاستشراقي، قراءة في كتاب: (تأسيس الإسلام) لبريمار، منشور على الانترنت، اطلع عليه بتاريخ: ٢٠٢٣/٤/٤م.

١١. ديفين ج. ستيوارت – DEVIN J. STEWART: قراءة القرآن كنصٍّ أدبي. لأنجيليكا نويفرت، منشور على الموقع الالكتروني:
https://tafsir.net/translation/٣٥/an-ns-s-al-mqd-ds-ash-sh-r-wsna-t-al-mjtm-qra-at-al-qr-aan-kns-sin-adby-l-anjylyka-nwyfrt . تم استرجاعه في ١٥/ ٣/ ٢٠٢١م .

١٢. محمد خليفة حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد ((الكتاب المقدس))، منشور على الموقع:
تم الاسترجاع في ١٤٤٤/١١/٢٧هـ الموافق http://www.alhiwartoday.net/node/ ٢٠٢٣/٦/١٦م

١٣. مصطفى مسلم: شبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم، منشور على الموقع الإلكتروني:
تم استرجاعه في ١٤٤٤/١١/٢٧هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦م https://www.alukah.net/culture/

١٤. ميشيل كويبرس: قراءة بلاغية وتناصية لسورة الإخلاص، ترجمة: عبير عدلي، بحث إلكتروني منشور على موقع تفسير للدراسات القرآنية، تم استرجاعه في ٢٠٢١/٤/٩م.

١٥. نيل روبنسون: بنية وتفسير سورة المؤمنون، ترجمة: أمنية أبو بكر، بحث إلكتروني منشور على موقع تفسير للدراسات القرآنية، تم استرجاعه في ٢/ ٤/ ٢٠٢١م، ص ٢٣.